

الكنيسة في التاريخ

مطبوعات ساعة الإصلاح
القس بسام مدني

الخدمة العربية للكرامة بالإنجيل

Arabic Bible Outreach Ministry

P.O Box 486

Dracut, MA 01826 USA

Web: www.arabicbible.com

E-mail: info@arabicbible.com

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة - الرجاء التقيد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الخدمة العربية للكرامة بالإنجيل.
يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

المحتويات

الدرس الأول (نشأة الكنيسة ونموها)
الدرس الثاني الكنيسة تضطهد وتتنصر
الدرس الثالث الكنيسة تنتشر في العالم بأسره
الدرس الرابع رحلات بولس الرسول التبشيرية
الدرس الخامس الكنيسة تنمو داخلياً
الدرس السادس الكنيسة تجابه المراقبة وتتنصر عليهم
الدرس السابع الكنيسة تنظم أمورها الداخلية وتتابع الدفاع عن الحق
الدرس الثامن الكنيسة تعترف بألوهية المسيح
الدرس التاسع عصر البطولة والاستشهاد (١)
الدرس العاشر عصر البطولة والاستشهاد (٢)

الدرس الحادي عشر عصر البطولة والاستشهاد (٣)
الدرس الثاني عشر انتصار الكنيسة على الوثنية بهذه العلامة تنتصر!
الدرس الثالث عشر نتائج اهتداء قسطنطين إلى المسيحية
الدرس الرابع عشر الجامع المسكونية - ١ -
الدرس الخامس عشر الجامع المسكونية - ٢ -
الدرس السادس عشر مشاهير الكنيسة في القرون الأولى - ١ -
الدرس السابع عشر مشاهير الكنيسة في القرون الأولى - ٢ -
الدرس الثامن عشر مشاهير الكنيسة في العصور القديمة

- ٣ -

الدرس التاسع عشر
مشاهير الكنيسة في العصور الأولى

-- ٤ --

الدرس العشرون
مشاهير الكنيسة في العصور الأولى

- ٥ -

نشأة الكنيسة المسيحية الدرس الأول (نشأة الكنيسة ونموها)

١- ميلاد الكنيسة المسيحية:

جرت هذه الحادثة الهامة في الصباح الباكر. كان سكان مدينة القدس والغرباء الذين أتوا لعبادة الله في الهيكل قد استفاقوا من نومهم لمدة قصيرة، عندما حدث فجأة صوت عظيم وكأنه ريحٌ قوية قد انقضت على قسم من المدينة المقدسة. ترك الناس بيوتهم مسرعين وانطلقوا باتجاه المكان الذي حدث فيه الصوت ليقفوا على حقيقة الامر.

وما أشد دهشتهم عندما رأوا المائة وعشرين تلميذاً مسيحياً وعلى رأس كل منهم السنة وكأنها من نار. وازدادت دهشتهم عندما سمعوا هؤلاء التلاميذ، الذين كان أكثرهم من سكان الجليل وبدون ثقافة تذكر، وهم يتكلمون عن عائم الله بألسنتهم المختلفة. فقد كان في القدس أناس من أمم مختلفة يتكلمون بلغات مختلفة تماماً ومع ذلك فكان كل جنس يسمع هؤلاء التلاميذ يتكلمون بلغتهم الخاصة! كان عدد الذين أتوا لرؤية ما حدث في ذلك الصباح يربو على عدة آلاف وأخذت الدهشة تزداد في صفوفهم واعترتهم دهشة كبيرة وهم يحاولون تعليل ما رأته أعينهم وما سمعته آذانهم! اخذ البعض منهم يسخرون بالتلاميذ وقالوا عنهم أنهم إنما امتلأوا من الخمر ولذلك كانوا يتكلمون بلغات مختلفة!

وهنا قام احد التلاميذ واسمه بطرس واخذ بالمدافعة عن رفاقه قائلاً: ليس هؤلاء بسكارى بل إنهم امتلأوا من الروح القدس. وهذا الذي حدث أمام أعينكم إنما صار حسب نبوة يوثيل النبي بخصوص حلول الروح القدس على المؤمنين في فجر العهد الجديد! مع أن كلمات بطرس لم تكن كثيرة ولا منمقة إلا أنها أتت بمفعول قوي لم يكن احد ليحلم به: آمن الكثيرون من الناس بما بشرهم به عن يسوع المسيح الذي مات على الصليب وقام من الأموات في اليوم الثالث والذي طلب من أتباعه أن يبدأوا بالمناداة به وبما قام به من عمل فدائي وخلصي في كل أنحاء العالم. وكان عدد الذين آمنوا ثلاثة آلاف واعتمد كل واحد منهم مظهراً بذلك قبوله للإيمان الجديد وللحياة الجديدة. وهكذا ولدت الكنيسة المسيحية في يوم الخمسين في مدينة القدس في العام الثالث والثلاثين حسب التقويم الميلادي!

٢- الله هو خالق وحافظ الكنيسة:

صحب نزول الروح القدس على التلاميذ وحلوله عليهم صوت ربح قوية وظهر السنة لهب شبه نارية على كل منهم. ويمكن النظر إلى الريح والنار كرمزين للروح القدس وهما رمزان ملائمين لعمل الاقنوم الثالث للاهوت الاقدس. فان الريح والنار من أعظم القوى الطبيعية المعروفة في العالم. وهكذا فان ولادة الكنيسة المسيحية كانت دليلاً على دخول قوة عظيمة إلى العالم نظراً لحلول الروح في الكنيسة. والروح القدس ذو قوة هكذا عظيمة وجبارة حتى أنه ليس هناك أي شيء يستطيع أن يصمد في وجهه متى شاء أن يقوم بعمل الله الخلاصي في العالم وبواسطة الكنيسة.

نتعلم من كيفية ولادة الكنيسة أن الله هو خالقها ولذلك فإننا نقول عنها أنها من منشأ أو أصل الهي. إنها أتت إلى الوجود بواسطة عمل الروح القدس والكلمة. وكذلك نرى أن الله عين التلاميذ رسلاً وقادة للكنيسة. وهذا يعني أنه مع وجود الأصل الإلهي في الكنيسة المسيحية إلا أن الله استخدم بني البشر في تكوين كنيسته. أتت الكنيسة إلى الحياة بعمل الروح القدس وكذلك بواسطة عمل الانسان. وعمل الإنسان هذا كان التبشير أو المناداة بالإنجيل. علينا أن نضع هذين الأمرين نصب أعيننا عندما نفكر في موضوع الكنيسة وفي رسالتها في أيامنا هذه. أنه لا يمكن مطلقاً إغفال العاملين الهامين المتعلقين بولادة الكنيسة عندما نتكلم عن نموها وامتدادها في العالم. وحيث يقلل من أهمية ذلك تصبح الكنيسة في خطر عظيم وتعرض لفقدان رسالتها التي أوتمنت عليها من قبل خالقها وربها.

٣- الكنيسة في أيامها الأولى:

أخذت الكنيسة المسيحية التي ولدت في القدس بالنمو بشكل مستمر منذ أيامها الأولى. وهنا علينا أن نلاحظ أن الكنيسة تنمو بشكل خارجي: وذلك من ناحية انضمام الناس إلى عضويتها، وأيضاً بشكل داخلي وذلك في نموها في معرفة الحق وتطبيق ذلك الحق في حياة اعضائها. يجبرنا الطبيب لوقا " وهو أول مؤرخ في الكنيسة المسيحية " أن المؤمنين كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون. ولم يكن للكنيسة في بدء عهدها أماكن خاصة للعبادة والوعظ بل كان الأعضاء يجتمعون في الهيكل أو في بيوتهم الخاصة. ومع فقرهم المادي إلا أنهم كانوا أغنياء روحياً: طريقة

عبادتهم وترانيمهم عذبة ومنعشة! أنهم بشّروا وصلوا ورمّوا ليس فقط بشفاهم بل من قرارة قلوبهم! وكان هناك وحدة حقيقية مؤسسة على تعاليم الرسل وعلى محبة المخلص ولسائر المفديين المؤمنين. كانت حياة الكنيسة في مدينة القدس في تلك المرحلة من تاريخ الكنيسة صورة جميلة للغاية وهدفاً يمكن أن تحذوا حذوه الكنيسة في أيامنا هذه. لكن الكنيسة منذ أوائل عهدها لم تكن كاملة أو خالية من الخطاء وذلك لان أعضاءها لم يكونوا كاملين. يروي لنا لوقا الطبيب حادثة تظهر لنا حقيقة ذلك الأمر:

انضم رجل اسمه حنانيا مع زوجته إلى الكنيسة في القدس. باعاً ممتلكاتهما وأعطيا المال إلى الرسل وادعيا في نفس الوقت أنهما قد أعطيا الكل. ولما سأل الرسول بطرس كلاً منهما على انفراد عن حقيقة الأمر لم يعترفا بخطيئتهما بل استمرا في الادعاء بأنهما أعطيا كل أموالهما للكنيسة! ماذا كانت النتيجة؟ مات الرجل وكذلك زوجته لأنهما كذبا على الروح القدس وعلى رسله! لو تاب حنانيا أو زوجته لما عوقبا بذلك الشكل الصارم!.

ولدت الكنيسة إذاً بمشيئة الله الخاصة المتعلقة بخلاص العالم وأخذت تنمو منذ أيامها الأولى من الناحية العددية وكذلك من الناحية الروحية. لكن الكنيسة في عهدها الحالي وقبل اكتمالها الذي سيحدث في نهاية العالم لدى رجوع يسوع المسيح إلى الأرض ليست كاملة من الناحية الروحية وفي حياة اعضائها. على الكنيسة أن تكون دوماً خاضعة لقيادة الروح محييها ويسوع المسيح فاديها بواسطة كلمته المقدسة

التي هي دستور حياتها الوحيد. وسنرى في حديث مقبل كيف اضطهدت الكنيسة وكيف نمت بالرغم من ذلك بنعمة الله ومساعدته.

نشأة الكنيسة المسيحية

الدرس الثاني

الكنيسة تضطهد وتنتصر

مستمعي الأعزاء:

ولدت الكنيسة المسيحية في مدينة القدس في العام الثالث والثلاثين ميلادي. خالق الكنيسة هو الله بواسطة الروح القدس والرسل الذين دعاهم لنشر البشارة. هذه خلاصة ما تعلمناه في درسنا الأول عن نشأة الكنيسة المسيحية.

نأتي اليوم إلى الكلام عن الاضطهادات التي لحقت بالكنيسة الفتية في القدس وعن انتصارها على أعدائها بالرغم من جميع محاولاتهم للقضاء عليها.

كانت تلك الأيام مليئة بالمفاجآت في حياة كنيسة القدس. فلقد ثابر الرسل على المناداة بيسوع المسيح وبإنجيله وعملوا العجائب في الهيكل وخارجه. فأمن الكثيرون من سكان المدينة المقدسة بالبشارة وانضموا إلى الكنيسة. لكن نمو الكنيسة لم يكن مرغوباً فيه بالنسبة إلى السلطات الدينية المسيطرة على الهيكل. وهكذا ابتدأت الاضطهادات الموجهة ضد أعضاء الكنيسة والتي كانت غايتها القضاء عليها قبل أن تكبر وتصبح قوية من الناحية العددية.

القي القبض في بادئ الأمر على الرسل وألقوا في السجون وهددوا بالقتل ولكنهم لم يمتنعوا عن المناداة بيسوع المسيح الذي قام من الأموات والذي كان قد

أعطاهم الأمر بالذهاب إلى العالم بأسره مبشرين بقدائه للعالم. وكلما كانوا يضيقون على الكنيسة ويحاولون شل حركتها التبشيرية كانت الكنيسة تقوى وتندفع إلى الأمام بفضل الله وقوته اللاهائية. نعم ابتدأ الرسل يختبرون في حياتهم قول المخلص أثناء حياته على الأرض: حتى أبواب الجحيم لن تقوى على كنيسته!

استشهاد استفانوس الشماس:

عندما ابتدأت الأعمال الكنسية تزداد بشكل مستمر عين الرسل سبعة رجال أتقياء وغيورين للاعتناء بالأمر المالية وخاصة بشؤون الأرامل في الكنيسة. ومن هؤلاء الشماس السبعة وكان استفانوس الذي استشهد بإيمانه والذي لم يكتف بالعمل ضمن نطاق عمله المعين بل كان أيضاً يشهد في مجامع القدس عن يسوع الناصري مبيناً من الكتاب أنه هو المسيا المنتظر وانه كان عليه أن يتألم ويرفض ويصلب ويقوم من الأموات لتتميم الفداء. وإذا رأى أعداؤه نشاطه الديني القوي وبلاغته المدهشة قرروا القضاء عليه قضاءً مبرماً. وهكذا ألقوا القبض عليه بعنف ثم قادوه أمام الجمع وحاكموه بشكل صوري مدعين بأنه جدف على الله وعلى نبيه موسى. ومع أنهم أعطوه المجال للدفاع عن نفسه ومع أنه أعطى أعظم دفاع يمكن للمسيحي أن يقوم به إلا أنهم كانوا قد صمموا على قتله بالرغم من براءته فرجموه حتى مات. وكانت كلماته الأخيرة: أيها الرب يسوع اقبل روحي..... يا رب لا تقم لهم هذه الخطية!

مات الشهيد المسيحي الأول في المدينة المقدسة ولكن الكنيسة المسيحية لم تمت. وقد قال احد الآباء المسيحيين في عصر آخر معلقاً على استشهاد المسيحيين في

سبيل إيمانهم أن دماء الشهداء هو بذار الكنيسة. نعم أن دم الشهيد استفانوس كان سبباً لقدم الكثيرين من الناس إلى الكنيسة والانتساب إلى عضويتها.

نقطة تحول هامة في تاريخ الكنيسة:

الانطلاق من القدس إلى بقية أنحاء فلسطين والى أقصى المعمورة:

حدث من جراء الاضطهاد الذي لقيته الكنيسة في المدينة المقدسة، أن الكثيرين من أعضاء الكنيسة المسيحية اضطروا إلى اللجوء إلى خارج المدينة، وهكذا ولدت كنائس عديدة من الكنيسة الأم. وبينما كان أعداء الكنيسة ينوون القضاء عليها في مهدها كان الله خالق الكنيسة يجعل من ذلك الاضطهاد دافعاً لانتشار الكنيسة في بقية الأرض المقدسة وفي البلاد المحيطة بها.

عندما كان استفانوس يرحم خارج أسوار المدينة المقدسة شاهد السيد المسيح واقفاً عن يمين الله، ومع أننا لا نستطيع أن نرى السيد المسيح كما رآه الشهيد المسيحي الأول إلا أننا نستطيع رؤية المسيح في تاريخ الكنيسة وهو يقودها من مكان ولادتها إلى جميع أطراف المسكونة. وهكذا علينا أن لا ننسى سيد الكنيسة وربها عندما نتابع دراسة تاريخها وخاصة عندما نتمعن في البحث في النقاط الهامة من حياتها على الأرض. حُوت الاضطهادات إلى دوافع لنشر الكنيسة في العالم وذلك نظراً لتسلط المسيح على التاريخ وسنرى الآن كيف اعد المسيح رسولاً خاصاً ليحمل البشارة إلى العالم الوثني الغارق في الظلام الروحي الدامس.

شاؤول الطرسوسي عدو الكنيسة يصبح بولس الرسول:

انتشرت الكنيسة من القدس إلى السامرة ومنها إلى لبنان وجزيرة قبرص ومدينة أنطاكية في شمال سورية. وما أن وصلت أخبار تأسيس الكنيسة في مدينة أنطاكية الهامة حتى أرسلت الكنيسة الأم في القدس احد الوعاظ إلى تلك الكنيسة وكان اسمه برنابا. وقد عمل بجد ونشاط على تغذية الكنيسة وعلى كسب العديدين من سكانها الوثنيين إلى الديانة المسيحية. ولكن الأعمال الكنسية أخذت تزداد بصورة كبيرة حتى اضطر الواعظ الجاد في عمله إلى البحث عن مساعد له. فذهب إلى مدينة طرسوس في إقليم كيليكية واقنع شاباً اسمه شاول على المجيء معه إلى أنطاكية للعمل في كنيستها النامية. يا ترى من كان شاول الطرسوسي؟ وما هو الدور الذي لعبه في حياة الكنيسة في أنطاكية وفي العالم بأسره؟

كان شاول قد اهتدى إلى المسيحية منذ عهد قريب وكان ينتمي إلى عائلة محترمة وناجحة. ولد شاول في طرسوس التي كانت مدينة جميلة للغاية وكأنطاكية مركزاً للثقافة الاغريقية.

كان والد شاول يهودياً محافظاً وقد منحه الفرصة للدراسة في جامعة طرسوس الشهيرة وكذلك التخصص في أمور الدين في مدينة القدس. وكان شاول يدرس في معهد ديني ذو سمعة كبيرة عندما استشهد استفانوس الشماس. وليس ذلك فقط بل كان راضياً بقتل ذلك المسيحي الشجاع ويعمل كل شيء للقضاء على الكنيسة المسيحية في القدس وخارجها. سمع شاول الطرسوسي بتأسيس كنيسة في مدينة دمشق فعزم على اضطهادها وانطلق مسرعاً نحو تلك المدينة وقلبه مليء بالمؤامرات التي كان سيقضي بها على آخر مسيحي من سكانها. لكن خطة شاول لم تتحقق إذ

أنه ما أن اقترب من ضواحي دمشق حتى ظهر له الرب يسوع المسيح وافهمه بأنه لن يقدر الاستمرار على محاربه ومحاربة كنيسته. ولم يكتف الرب بإنقاذه من تعصبه الأعمى بل انتخبه ليكون رسولاً خاصاً للوثنيين وليذهب إلى مدن وأقاليم لم يكن قد حلم بها للمناداة به. وعوضاً عن أن يقضي على كنيسة دمشق أصبح شاول مسيحياً في دمشق وحمل لواء المسيح إلى آخر يوم من حياته وصار يعرف فيما بعد باسم بولس الرسول.

الكنيسة في التاريخ

الدرس الثالث

الكنيسة تنتشر في العالم بأسره

تحدثنا في الدرس السابق عن اهداء شاول الطرسوسي إلى المسيحية، وقد جرت هذه الحادثة في تاريخ الكنيسة المسيحية بالقرب من مدينة دمشق. كان شاول قد صمم القضاء على مسيحيي دمشق ولكنه دخل تلك المدينة رجلاً متغيراً ولم يلبث أن اعتمد وانضم إلى الكنيسة المسيحية هناك.

ظهر المسيح يسوع لبولس (وهو الاسم الآخر لشاول الطرسوسي والذي نستعمله عادة للدلالة على القسم الثاني من حياته) وافهمه بأنه اختاره للعمل له في بلدان الوثنيين المختلفة إذ أن أزمنا الجهل كانت قد ولت وها أن الله الآن يدعو جميع الناس إلى ترك عبادة الأوثان والإيمان به وبيسوع المسيح، مخلص البشرية الوحيد. ولم تطل إقامة بولس في دمشق إذ أنه اضطهد هناك من قبل بني جنسه الذين تأمروا أيضاً للقضاء عليه ولكنه فر من المدينة بمعونة الكنيسة.

ذهب بولس إلى مسقط رأسه في كيليكية حيث وجد برنابا الذي كان قد أرسل من قبل كنيسة القدس للعمل في حقل الكنيسة الانطاكية. وكان برنابا قد ذهب إلى طرسوس للبحث عن شاول المهتدي والحيء به إلى انطاكية. وكان بولس أو شاول قد وهب جميع المؤهلات التي تساعد المبشر المسيحي للعمل في حقل وثني وخاصة في مدينة كأنطاكية. فولادته في مدينة وثنية كبيرة ودراسته في جامعة

طرسوس وإتقانه اللغة اليونانية، كل هذه العوامل جعلت منه مبشر الكنيسة الأنطاكية والكنيسة الجامعة الاعظم. وقد انشغل بولس الرسول في بادئ الأمر في أعمال التبشير في مدينة أنطاكية التي كانت عاصمة الولاية السورية الرومانية والتي كانت من اكبر وأعظم مدن العالم القديم. في تلك المدينة بشر بولس الرسول اليهود والوثنيين من سائر الجنسيات بالمسيح يسوع وساهم مساهمة كبيرة في تأسيس كنيسة قوية وعاملة.

نقطة التحول الثانية في تاريخ الكنيسة المسيحية:

رأينا في درسنا السابق أن الكنيسة ولدت في مدينة القدس وأنها ابتدأت بالانتشار في بقاع أخرى من الأرض المقدسة من جراء الاضطهاد الذي لحق بها وخاصة بعد استشهاد الشماس استفانوس . وكذلك رأينا أن المسيحيين اخذوا بالانتشار خارج بلاد فلسطين فرأيانهم وقد سكنوا في لبنان ودمشق وأنطاكية وجزيرة قبرص. وقد دعيت تلك الظاهرة بالنقطة الهامة في تاريخ الكنيسة نظراً لانتشارها خارج نطاق المدينة المقدسة. أما الآن فسنكلم عن نقطة التحول الثانية والتي سيلعب بولس الرسول فيها الدور الرئيسي مع غيره من الرسل والمساعدين.

كانت معرفة الله منحصرة في البلاد المقدسة ما بين اليهود في الأيام التي سبقت مجيء المسيح وكانت فلسطين كجزيرة صغيرة ضمن محيط الوثنية الكبير وفي كل المدن الوثنية وجدت الهياكل الكبيرة الفخمة للآلهة الوثنية التي كانت تعبد وكانت صور تلك الآلهة تملأ بيوت الناس. وهكذا فعندما أخذت الكنيسة المسيحية معرفة الإله الواحد الحقيقي إلى سائر أصقاع الأرض كانت تواجه خطر تأثر المؤمنين بالعبادات الوثنية.

كيف انتشرت الكنيسة في بدء التاريخ الميلادي:

إن الله هو الذي هيا العالم والرجال والمكان لانتشار الكنيسة.

١- كان الله قد هيا العالم في تلك الأيام لان العالم المتمدن بأسره كان تحت سلطة واحدة أي سلطة الإمبراطورية الرومانية. وكان السلام يعم على ربوع تلك البلاد الشاسعة وكان النظام الروماني والقانون الروماني يسهل السفر والتنقل لجميع أفراد الشعوب الخاضعة لرومية. وقد اشتهرت الطرق المعبدة التي كانت تصل مختلف أنحاء الإمبراطورية بمدينة رومية وكذلك السفن العديدة تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط ناقلة الناس والبضائع المتنوعة من ثغر إلى اخر. ولا بد أيضاً من الإشارة إلى امتداد اللغة اليونانية واستعمالها من قبل جميع الناس ليس فقط كلغة الآداب والفلسفة بل كلغة المعاملات التجارية والمباحثات الدينية. وكان الكتب المقدس في عهده القديم قد ترجم من العبرية والآرامية إلى اليونانية قبل نحو ٣٠٠ سنة من العهد الميلادي.

ومع تنوع الديانات الوثنية وكثرة البدع الغربية كان العالم عل اشد الحاجة إلى ديانة حقيقية تنشر معرفة الإله الواحد الحقيقي وتبشر بطريقة فوق بشرية للتغلب على الشر ضمن حياة الانسان.

٢- أعد الله أيضاً الرجال الذين نشروا الكنيسة وشارتها الخلاصية. نذكر الآن بطرس واستفانوس وبرنابا وبولس المدعو أيضاً بشاول الطرسوسي.

لقد تأسست الكنيسة في مدينة القدس بواسطة تبشير بطرس الرسول وكذلك في مدينة قيصرية على الشاطئ الفلسطيني وذلك في بيت قائد مئة روماني. ومع أن

عمل استفانوس كان قصير الأمد إلا أنه كان من أهم ناشري الكنيسة إذ أن استشهاده في سبيل البشارة كان السبب الذي دفع المسيحيين إلى ترك القدس والذهاب إلى بقاع أخرى من فلسطين وكذلك إلى البلاد المجاورة. ولا بد أن بولس تأثر جداً لرؤيته موت استفانوس الذي كان احد العوامل في اهتدائه إلى ديانة الناصري المنتصر.

أما برنابا فمع أنه لم يكن واعظاً لامعاً أو مبشراً شهيراً كبطرس وبولس إلا أنه كان من منظمي الحركة التبشيرية وهو الذي أتى ببولس من طرسوس إلى الكنيسة في انطاكية. وقد رافق الرسول بولس في رحلاته التبشيرية إلى مدة ما.

لكن بولس يعد مبشر المسيحية الأعظم لأنه عمل أكثر من جميع الرسل الآخرين على تأسيس الكنيسة، وسوف نتكلم عنه بصورة مفصلة في درسنا المقبل. كيفينا الآن أن نذكر أن الرسائل التي كتبها إلى الكنائس تدل على نشاطه عديم النظر وعن التراث الضخم الذي تركه للكنيسة في شتى العصور والبلاد.

٣- وكذلك اعد الله المكان الذي منه انتشرت الكنيسة إلى مختلف أنحاء العالم المتمدن وهذا المكان هو أنطاكية. فمع أن الكنيسة ولدت في القدس إلا أنها عملت على تسيير حملاتها الروحية لكسب العالم إلى ملكوت المسيح من أنطاكية التي كانت تتمتع بموقع جغرافي مساعد للغاية. فلقد كانت اقرب إلى آسيا الصغرى بنحو ٤٨٠ كم. من القدس ولقرىها من البحر المتوسط كان باستطاعتها الاتصال بمختلف أواسط

العالم. وبالفعل تقدمت الكنيسة إلى هكذا درجة في تلك الأيام حتى تأسست كنائس
رسوليه في أهم مدن آسيا الصغرى واليونان.

الكنيسة في التاريخ

الدرس الرابع

رحلات بولس الرسول التبشيرية

ذكرنا في درسنا الثالث عن امتداد الكنيسة المسيحية إلى عدة نواح من العالم حسب الأمر الذي أصدره السيد المسيح قبيل صعوده السماء. وقد رأينا كيف أن الله قاد الكنيسة بواسطة عنايته إلى الذهاب من القدس إلى بقية أنحاء الأرض المقدسة ومنها إلى البلاد القريبة فالبعيدة. وكذلك رأينا أن البشارة أخذت إلى الجميع بغض النظر عن الجنس أو اللون. وكان الله قد اعد العالم لبدء حملة الكنيسة التبشيرية وكذلك المبشرين كبولس وبطرس ويوحنا وغيرهم. وسنخصص درسنا اليوم لرحلات بولس الرسول في سائر أنحاء الإمبراطورية الرومانية في سبيل نشر راية الإنجيل ودعوة الناس إلى قبول سلام الله.

وإذا أردنا قراءة تفصيلات رحلات بولس الرسول التبشيرية فليس علينا إلا الذهاب إلى احد أسفار الكتاب المقدس المعروف بسفر الأعمال أو سفر أعمال الرسل الذي كتبه لوقا الطبيب. وتكتفي في درسنا هذا بالكلام بصورة إجمالية عن رحلات بولس ملاحظين بصورة خاصة الطريقة التي نشر بها الكنيسة المسيحية.

كتب الطبيب لوقا عن بدء عمل الرسول بولس في الفصل الثالث عشر من سفر الأعمال قائلاً: " كان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون وبرنابا وسمعان الذي يدعى نيجر ولوكيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيروودس رئيس

الربع وشاول. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس: افرزوا إلي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتكما اليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيدي ثم اطلقوهما. فهذان إذ أرسلنا من الروح القدس انحدرا إلى سلوقية ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرص." (١ - ٤)

كانت إذا جزيرة قبرص أول ساحة للعمل الإنجيلي وقد عمل فيها بولس وبرنابا لمدة من الزمن، آمن أثناءها الوالي الروماني بالمسيح. ومن قبرص اقلع الرسولان إلى بلاد آسيا الصغرى الواقعة في شمال الجزيرة والتي كانت مأهولة في تلك الأيام من قبل شعوب مختلفة تدين بديانات وثنية. وكان هناك أيضاً بعض اليهود القاطنين في مدن آسيا الصغرى ذات المواقع الملائم للأعمال التجارية وكانوا قد أسسوا مجامعاً للقيام بفرائض العبادة والتعليم. وكانت عادة بولس أن يذهب أولاً إلى المجامع اليهودية ليخبرهم بمجيء المسيح وبصلبه وبقيامته من الأموات وبالأمر الذي أصدره بخصوص التبشير بالخلاص لجميع الناس. وقد حدث مراراً أن البعض من اليهود آمنوا بالإنجيل والتصقوا ببولس وبرنابا وان الآخرين قاوموا بولس مقاومةً شديدةً وحرصوا الغوغاء على مطاردتهم وفي بعض الأحيان على قتلهم. وقد وجد الرسولان أن الكثيرين من الوثنيين كانوا يرحبون بالأبناء السارة التي جاؤوا بها إليهم وكانوا ينضمون إلى الكنائس المسيحية التي أتت إلى الوجود هنا وهناك في آسيا الصغرى. ومن إحدى عظات بولس الإنجيلية التي حفظها لنا الطبيب لوقا في سفر الأعمال هذه العبارات الهامة:

"كان يجب أن تكلموا أنتم بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية، هو ذا نتوجه إلى الأمم، لأن هكذا أوصانا الرب: قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض. فلما سمع الأمم (أي الوثنيين) كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب، وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الابدية." (١٣ : ٤٦ - ٤٨).

وبعد جولة في أواسط آسيا الصغرى عاد الرسولان إلى الكنيسة في أنطاكية وأخبرا بكل ما صنع الله معهما وانه فتح للأمم أي الوثنيين باب الايمان. وبعد مدة من الزمن عاد الرسولان إلى حقل التبشير بصحبة سيلا وزارا الكنائس التي أسسها في آسيا الصغرى وساهم في تأسيس كنائس أخرى في شتى الأقاليم . وحدث أنه لما وصل بولس إلى القسم الغربي من تلك البلاد أنه رأى رؤيا في الليل رجلاً مكدونياً (أي من شمال اليونان) يطلب إليه ويقول: اعبر إلى مكدونية إن الرب دعانا لنبشرهم. وهكذا دخلت البشارة المسيحية القارة الأوروبية.

انحصرت أكثر جهود الرسول بولس في العمل في بلاد اليونان حيث أسست عدة كنائس أصبحت مشهورة على مر التاريخ نظراً لان الرسول كتب إليها بعد مدة من الزمن رسائل حفظت لنا في الكتاب المقدس كرسائل بولس إلى الكنيسة في كورنثوس وتسالونيكى وغيرها. وقد تكررت اختبارات آسيا الصغرى في بلاد اليونان إذ أن الرسول بولس وصحبته اضطهدوا من قبل غير المؤمنين من بني جنسه ولكن بالرغم من هذه الاضطهادات فإن كلمة الرب أتت بجميع الأعمار التي كانت

ضمن تدبير الله لخلاص البشرية. وهكذا تأسست كنائس مختلفة في بقاع عديدة من بلاد الإغريق.

وبعد مدة من الزمن عاد الرسول إلى افتقاد الكنائس في آسيا الصغرى وتعرض إلى اضطهاد كثير ولكن ذلك لم يمنعه من تقوية المؤمنين ومن المناادة بالإنجيل. وإذ صارت حاجة ماسة إلى مساعدة المؤمنين في البلاد المقدسة سارعت الكنائس في بلاد اليونان إلى تقديم المعونة المالية وطلبت من الرسول أن يسلمها إلى الكنيسة الأم في القدس. وإذ كان الرسول يقوم بزيارة خاصة للهيكل ادعى بعض الأعداء بأنه جاء بوثنيين إلى القسم المحرم عليهم ضمن بناية الهيكل وهجوا الجموع وحاولوا القضاء على الرسول. لكن قائد الكتبية الرومانية أنقذ الرسول بولس الذي اقتيد مقيداً إلى القلعة التي كانت بجوار الهيكل. وحيء بقضية الرسول إلى الوالي الروماني في قيصرية ولم يستطع أعداؤه من إدانته ومع ذلك فإن الرسول بقي بدون حريته لمدة سنتين أو أكثر. وأخيراً وبما أنه كان يتمتع بالجنسية الرومانية رفع قضيته إلى قيصر رومية. وعند وصول الرسول إلى رومية أعطي حرية كبيرة لمقابلة الناس أثناء فرض إقامة جبرية عليه بصحبة جندي روماني. وهنا ينتهي مصدرنا الأكيد بخصوص رحلات بولس التبشيرية أي ما كتبه لنا لوقا في سفر الاعمال. إلا أن مؤرخي الكنيسة في العصر التالي اجمعوا على القول بأن الرسول حصل على براءته وسافر إلى أماكن عديدة في سبيل البشارة ولكنه سجن ثانية أثناء الاضطهاد الكبير الذي لحق بالمسيحيين تحت حكم الطاغية نيرون. ومن الأرجح أنه استشهد في العام ٦٧ م تاركاً وراءه عملاً مجيداً لم ير له مثيل لا في تلك الأيام ولا في أي عصر آخر، إن

الرسول مضى إلى ديار النعيم تاركاً لنا رسائله والكنيسة المسيحية التي ساهم في تأسيسها ونشرها والدفاع عنها

الكنيسة في التاريخ

الدرس الخامس

الكنيسة تنمو داخلياً

ماذا نعني بنمو الكنيسة الداخلي؟

لقد تكلمنا في دروسنا السابقة المتعلقة بتاريخ الكنيسة المسيحية منذ نشأتها في العالم ورأينا كيف أهما نمت من كنيسة واحدة في مدينة القدس إلى أن أصبحت كنائس عديدة في مختلف أنحاء العالم. وبينما كان عدد المؤمنين بيسوع المسيح لا يتجاوز المائة والعشرين عند صعود الرب إلى السماء كان عددهم يقدر بالآلاف العديدة بعد مرور ثلاثمائة سنة من تأسيس الكنيسة. حتى القرن الأول الميلادي كانت الكنائس المسيحية منتشرة في مدن وأقاليم عديدة من العالم المحيط بالبحر الأبيض المتوسط.

لكن النمو العددي أو الخارجي ليس بالنمو الوحيد الذي يجري في حياة الكنيسة. هناك أيضاً نمو داخلي وهو ليس اقل أهمية من النمو الخارجي أو العددي. وسوف نتكلم في درسنا اليوم عن هذا النمو الذي يتعلق بصورة خاصة بنمو الكنيسة في الإيمان أو النمو العقائدي. وهذا الأمر في غاية من الأهمية نظراً لتعلقه بالحقيقة الموحى بها في كتاب الله المقدس.

وقد بذل قادة الكنيسة الذين كانوا قد وهبوا هبات خاصة من المعرفة والحكمة والغيرة جهوداً كبيرة في سبيل الوصول إلى تنظيم الحقائق المعلنة في الوحي الإلهي وفي

الدفاع عنها ضد أصحاب البدع والتعاليم الكاذبة. وبذلك كانوا قد احتذوا حذو الرسل القديسين الذين جابهوا أثناء حياتهم وأعمالهم التبشيرية والكنائسية العديدين من أصحاب المبادئ الكاذبة. وسوف نهتم بمعونة الروح القدس إلى وضع قوانين الإيمان المبنية على تعاليم الكتاب.

أهمية العقائد في حياة الكنيسة:

قد يقلل البعض من أهمية العقائد في حياة الكنيسة وينظرون إليها كأمر تاريخية ليس لها أهمية لعالمنا الحالي. وهم يدعون بأن أهم شيء في الكنيسة هو العمل لا المباحثة في الأمور العقائدية. لكن هذا الموقف هو غير حميد لأنه ليس هناك أي إنسان إلا ويدين بحقائق معينة. فالذي يقلل من شأن العقائد المسيحية الكتابية ويقول إن الحياة هي أهم شيء لا الأمور التي يدين بها الإنسان هو بالحقيقة صاحب عقائد معينة وإن كانت أكثرها مسبوكة في صيغ سلبية. إن الله قد أوحى بالحقائق العديدة التي تختص بحياتنا الزمنية والأبدية وهو لا يريد بأن تترك هذه الحقائق جانباً بل أن نعمل بها وبدون العقائد الصحيحة المستقاة من الوحي الإلهي لا يمكن مطلقاً الوقوف على معنى الخلاص العظيم الذي أتمه السيد المسيح ولا الاستفادة منه. وكما أن الحقائق العلمية هامة للغاية في أي قسم من الحياة العملية وكما أن العلماء يعملون جهدهم للوصول إليها قبل البدء في تطبيقها في الحياة العملية هكذا أيضاً العقائد الدينية.

آباء الكنيسة المسيحية يبحثون عن الحقيقة:

بعد أن انتقل الرسل القديسون إلى ديار النعيم انتقلت قيادة الكنيسة المسيحية إلى أيدي الآباء الرسولين. ونعني بهذا التعبير أن الرسل كانوا قد علموا بعض التلاميذ النابغين في أمور الديانة المسيحية وكان من البديهي أن يستلم هؤلاء دفعة الكنيسة بعد استشهاد معظم الرسل أو موتهم بشكل طبيعي. وكان هؤلاء الآباء قد عاشوا في القسم الثاني من القرن الأول الميلادي وكذلك في القسم الأول من القرن الثاني الميلادي. ونحن نعلم أسماء خمسة من هؤلاء الآباء وهم: " كليمينت وهيرماس في رومية، اغناطيوس في أنطاكية، بوليكاربوس في سميرنا (أو أزمير حسب اسمها الحالي) وبرنابس الذي كان غالباً من الإسكندرية .

لدى قراءتنا للكتاب المقدس وخاصة للعهد الجديد نلاحظ كيف أن الرسل أنفسهم كانوا غير سريعين في فهم جميع الأمور المتعلقة بالسيد المسيح. كان عليهم التخلص من كثير من الآراء الخاطئة بخصوص المسيح قبل أن يأخذوا البشارة إلى جميع أنحاء العالم. وكذلك نذكر أيضاً أن الرب يسوع المسيح وعد الرسل بأن يمكنهم) بواسطة الروح القدس) من الوقوف على الحق ومن تطبيقه في حياتهم وحياة الكنائس التي كانوا قد أسسوها. ونلاحظ من كتابات هؤلاء الآباء أنهم كانوا جادين في البحث عن الحقيقة المختصة بيسوع المسيح وأنهم حصروا اهتمامهم بالمسيح وكتبوا عنه وبشروا به للجميع.

وقد حدث في تلك القرون الأولى من تاريخ الكنيسة المسيحية أن الوثنيين هاجموا المسيحيين واضطهدوهم وادعوا بأنهم كانوا يقومون بجرائم مخيفة. وكان لذلك الموقف الوثني العدائي للكنيسة إن قام البعض من قادة الكنيسة وهبوا للدفاع

عنها بكتاباتهم ولذلك سموا في التاريخ باسم المدافعين. المدافع عن الكنيسة هو الذي يعمل جهده للرد على الاتهامات الباطلة التي تلصق بها من قبل اعدائها. وقد اقتضى ذلك أن يلجأ المدافعون إلى دراسة عميقة للكلمة الإلهية للحصول على المواد اللازمة للدفاع عن الحق ومحاربة الباطل. وقد أدى هذا الاجتهاد الديني إلى نمو الكنيسة في معرفتها لمحتويات الكتاب المقدس وللمبادئ الأساسية للديانة المسيحية.

من أشهر المدافعين عن الكنيسة المسيحية ضد هجمات الوثنيين يوستينوس الشهيد. ولد يوستينوس في مدينة السامرة في بلاد فلسطين من أب وأم وثنيين. وقد كان مثقفاً ثقافة عالية ودرس الفلسفة وصار من أشهر مفكري تلك الأيام. وحدث أثناء إقامته في مدينة أفسس في آسيا الصغرى أن اهتدى إلى المسيحية بواسطة قراءته للعهد القديم أو التوراة.

وقد كتب عن اهتدائه قائلاً: " لقد أشعل لهيبٌ في نفسي بصورة مفاجئة وأنا أقرأ الأنبياء وهؤلاء الذين كانوا رفقاءً للمسيح. أنهم قد أعطونا أقدم ولأصح تفسير لبداية ونهاية كل شيء وللأمور التي يجب أن يعرفها كل فيلسوف. وقد قاموا بذلك لأنهم كانوا ممثلين بالروح القدس. لقد مجدوا الخالق، نادوا بالسيد المسيح. ولقد وجدت هذه الفلسفة وحدها مفيدة وموصلة لكل إنسان إلى الأمان!"

انتقل يوستينوس من أفسس إلى رومية حيث كتب نحو العام ١٥٣ م. كتابه المشهور المعروف بالأبولوجيا وهي كلمة يونانية تعني الدفاع. ولكن الاضطهاد لحق

به نظراً لإيمانه المسيحي وهكذا استشهد في العام مئة وخمسة وستون ميلادي. في
عاصمة الإمبراطورية ولذلك عرف في التاريخ باسم يوستيونوس الشهيد!.

الكنيسة في التاريخ

الدرس السادس

الكنيسة تجابه الهراقة وتنتصر عليهم

من هم الهراقة؟

الهراقة هم أولئك الذين ينحرفون عن التعليم القويم الذي أوحى به الله في كتبه المقدسة. وقد جابهت الكنيسة المسيحية منذ أوائل عهدها البعض من الذين كانوا قد انضموا إلى عضويتها ولكنهم لم يبعثوا الرضوخ إلى تعليم الرسل والكتب المقدسة بل حاولوا بأن يأتوا بتعاليم مستحدثة غير مبنية على الوحي الإلهي وغير منطبقة على روح الإنجيل.

وقد حدث في القسم الثاني من القرن الثاني الميلادي أن قامت بدعة الاغنوستيكيين وكذلك بدعة المونتانيين وحاولنا لقضاء على تعاليم الكنيسة والتعويض عنها بأراء بشرية مخربة. أما بدعة الاغنوستيكيين فإنها كانت قد برزت إلى الوجود في نهاية القرن الأول ولو أنها كانت آتخذ غير نامية وقد جابهها الرسول يوحنا في رسائله وطلب من جميع المؤمنين عدم الوقوع في خباثتها. ومن مبادئ هؤلاء الهراقة: أن الشر كائن في المادة أو الطبيعة ولذلك فإن المسيح يسوع حسب زعمهم لم يكن له جسداً حقيقياً وبذلك أنكروا عقيدة التجسد الكتابية.

كذلك علّموا بأن خلاص الإنسان يتم بواسطة المعرفة لا بالأيمان بالله حسب تعليم الإنجيل. أما المونتانيين الذين كانوا أقوياء في شمال إفريقيا فإنهم أنكروا نزول

الروح القدس على الرسل والكنيسة في يوم الخمسين كما يعلنها الكتاب في سفر الأعمال وعلموا أن حلول الروح القدس كان على الأبواب (في نهاية القرن الثاني) وأن نهاية العالم كانت قد اقتربت. وقد أخذت هذه الآراء الكاذبة تنتشر في الكنائس ولو انتصرت على الآراء المستقيمة لما بقيت الكنيسة إلى اليوم الحاضر ولكن وعد السيد المسيح في ذلك العصر أيضاً وهو أن أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة.

هب المخلصون إلى المدافعة عن العقيدة الكتابية والرسولية وأظهروا ابتعاد الهراطقة عن قلب الإنجيل. وقد حدث من جراء دفاع الكنيسة عن الحقيقة ومحاربتها للهراطقة أمور هامة:

- ١- تحديد خلاص الإيمان أو المعتقد في قوانين الإيمان.
- ٢- الإقرار باللائحة الرسمية للكتب أو الأسفار المقدسة في العهد الجديد.
- ٣- نشوء النظام الأسقفي لحكم الكنائس.

وستتكم عن هذه الأمور بالترتيب:

قوانين الإيمان:

لما ابتدأت الكنيسة المسيحية بمحاربة أصحاب البدع الكاذبة اضطرت إلى اللجوء إلى الكتاب المقدس لتحديد العقائد المبنية عليه ولمهاجمة العقائد المغايرة لروح الكتاب ونصه. وهكذا ابتدأت الكنيسة بإيجاد خلاصة لتعاليم الكتاب الهامة والتي كانت تهاجم بصورة خاصة من قبل أعداء الحق وأنصار الباطل. وأول قانون إيمان جاءت به الكنيسة هو القانون المعروف

بقانون إيمان الرسل لا لأنه كتب من قبل الرسل بل لأن جميع بنوده تلخص تعاليم الرسل بكل أمانة. وهذا القانون لا يزال يستعمل في كثير من الكنائس إلى يومنا هذا ولكنه غير معروف بصورة كبيرة في الأواسط الشرقية.

وهذا هو نص قانون الإيمان المعروف بالرسولي:

"أؤمن بالله الآب القادر على كل شيء خالق السماء والأرض وبربنا يسوع المسيح ابنه الوحيد الذي حبل به بواسطة الروح القدس وولد من مريم العذراء، تآلم على عهد بيلاطس البنطي، صلب ومات ودفن ونزل إلى الجحيم وقام في اليوم الثالث من بين الأموات وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب القادر على كل شيء وأيضاً سيأتي ليدين الأحياء والاموات.

أؤمن بالروح القدس. أؤمن بكنيسة جامعة ومقدسة وشركة القديسين وبمغفرة الخطايا وبقِيامة الجسد وبالحياة الأبدية - آمين".

وهكذا فإن جميع الكنائس التي بقيت محافظة على تعاليم الرسل قبلت هذا القانون للإيمان مميزة نفسها عن الكنائس أو المجتمعات التي سارت في ركاب الهراطقة والتي لم تعترف بهذه الخلاصة للديانة المسيحية.

٢- ظهور اللائحة الرسمية لأسفار العهد الجديد:

لقد أُلحنا سابقاً إلى أن قادة الكنيسة المسيحية لجئوا إلى أسفار العهد القديم وكذلك إلى كتابات الرسل والبشيرين للدفاع عن التعاليم القويمية ولنبد التعاليم الخاطئة. وإذا كان في تلك الأيام العديد من الكتب القيمة التي كانت تبحث في أمور

المسيحية كان لا بد من التمييز بينها وبين الكتب التي كامن قد ورثت من العصر الأول الميلادي والتي كانت تختلف اختلافاً تاماً عن بقية الكتب. وهكذا اعترفت الكنيسة بلائحة رسمية للكتب المقدسة التي كانت تشكل مع أسفار العهد القديم (التوراة والأنبياء والمزامير) كلمة الله المعصومة عن الخطأ. ومن المهم جداً أن نلاحظ أن الكنيسة لم توجد هذه الكتب في القرن الثاني الميلادي بل إنما اعترفت بها بمعونة الروح القدس الذي أوحى بالكتب المقدسة، اعترفت بتلك الأسفار الرسمية القانونية التي ذكرت أمور عن حياة المسيح وتعاليمه وعمله الفدائي على الصليب وتفسير ذلك في رسائل الرسل المقدسين. وهكذا جاءت إلى الوجود تلك اللائحة القانونية للأسفار المقدسة التي تكون العهد الجديد والتي هي كما يلي: إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، سفر أعمال الرسل للوقا، رسائل بولس الرسول إلى الكنائس المسيحية في رومية وكورنثوس وغلاطية وافسس وفيلبي وكولوسي وتسالونيكى ورسائل بولس إلى تيموثاوس وتيطس وفيلمون. الرسالة إلى العبرانيين، رسالة بطرس الأولى والثانية، رسالة يوحنا الأولى والثانية والثالث ورسالة يهوذا أو رؤيا يوحنا. عدد أسفار العهد الجديد القانونية هو إذا: سبعة وعشرون سفرًا.

وقد نظرت الكنيسة إلى هذه الأسفار المقدسة مع أسفار العهد القديم كالمصدر الأساسي والوحيد للتعاليم المسيحية وكانت بواسطة هذه الأسفار والتعاليم المستقاة منها تحارب الوثنية في الخارج والهراطقة في الداخل متكلمة لا على الحكمة البشرية التي تلمع في هذه الدنيا لمدة ما ثم لا يلبث نورها بأن يجبو بل على الحكمة الإلهية التي توجد في جميع أسفار الكتاب والتي تشير في كاملها إلى صلب الحقيقة: المسيح يسوع

الذي صلب ومات والذي سيأتي في نهاية التاريخ البشري لدينونة الأحياء والأموات .
وبينما اندثرت تعاليم هؤلاء الوثنيين الذين حاربوا الكنيسة وكذلك تعاليم الهرطقة
نرى أن الكنيسة لا تزال حية إلى الآن وهي تشهد مع بطرس الرسول قائلةً: أما كلمة
الرب فتثبت إلى الأبد!.

الكنيسة في التاريخ

الدرس السابع

الكنيسة تنظم أمورها الداخلية وتتابع الدفاع عن الحق

لاحظنا في دراستنا السابقة ظهور أعداء داخليين للكنيسة أي أولئك الذين حاولوا القضاء على الكنيسة المسيحية التي تأسست بواسطة الرسل القديسين، وذلك بترويج البدع الكاذبة. ومن هذه البدع المخربة بدعة الاغنوستيكيين وبدعة المونتانيين اللتين أنكرتا حقائق هامة موحى بها في كتاب الله المقدس. وكذلك رأينا أن قادة الكنيسة الغيورين هبوا للمدافعة عن الحق واستطاعوا بأن ينتصروا على الهراطقة أي أصحاب البدع.

ومن جراء هذه الحوادث الهامة التي جرت في فجر المسيحية حدث نمو في العقيدة المسيحية إذ أن أهل الحق لجئوا إلى دراسة عميقة للكتاب المقدس في محاربتهم لأهل الباطل.

ونظراً لأهمية التفريق بين ما كتبه الرسل والبشير ون بوحى الروح القدس وما كتبه تلاميذهم وغيرهم من قادة الكنيسة في القرن الأول والقسم الأول من القرن الثاني الميلادي أتت إلى الوجود اللائحة القانونية لأسفار العهد الجديد واعترفت الكنيسة بما يارشاد روح الله الذي أوحى بها إلى كاتبها. وكذلك المنحنا إلى نشوء

النظام الأسقفي لحكم الكنائس من جراء الجهاد الذي حدث ضد المهرطقة المفسدين. وستكلم قليلاً في درسنا اليوم عن هذا الأمر منتقلين بعد ذلك إلى الكلام عن بعض قادة الكنيسة المشهورين وعن استمرار الجهاد ضد أصحاب البدع والمبادئ الباطلة.

نشوء النظام الأسقفي لحكم الكنائس المسيحية:

عندما كان الرسول بولس يذهب من مكان إلى آخر في سبيل نشر الدعوة المسيحية كان يؤسس كنائس حيثما كانت مهمته تلقى النجاح. ومن المهم الملاحظة أن نظام حكم الكنائس كان أولاً بسيطاً للغاية إذ أن الرسل تركوا في كل كنيسة شيوخاً وشمامسة، الشيوخ للاهتمام بالأمور الروحية والشمامسة للاهتمام والاعتناء بالأرامل واليتامى ولإظهار روح المحبة في معاملتهم لذوي الحاجة والعوز. وهكذا نقرأ في رسالة بولس إلى مساعده تيطس ما يلي: "من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك" وكان الرسول قد تكلم أيضاً عن هذا الموضوع في رسالته الأولى إلى مساعده وابنه الروحي تيموثاوس: "صادقة هي الكلمة إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهي عملاً صالحاً، فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعلم امرأة واحدة صاحياً عاقلاً محتشماً...". وبعد ذكر عدد من الصفات الجيدة التي يجب تظهر في الأسقف وكذلك الصفات الذميمة التي يجب أن تكون غير موجودة لديه ينتقل إلى الكلام عن الشامسة وعن صفاتهم. والرسول يستعمل كلمة شيخ وكلمة أسقف بشكل مترادف والكلمة الأخيرة يونانية الأصل وتعني المشرف على أمر أو عمل.

كان الشيوخ أو الأساقفة في بادئ الأمر ذوي مرتبة واحدة ولكن حدث بعد مدة أن الشيخ الذي كان اشد مقدرة من غيره صار يحتل مكاناً خاصاً في حكم الكنيسة. ومع الزمن أعطي لهكذا شيخ لقب أسقف بينما دعي الباقون بشيوخ فقط.

تأسست أكثر الكنائس في بادئ الأمر في مدن كبيرة كأفسس أو كورنثوس أو تسالونيكى ومن هذه المدن انتشرت المسيحية إلى الجماعات الوثنية التي كانت تسكن الأرياف. وكان المؤمنون من سكان الأرياف يأتون إلى كنائس المدن لعبادة الله. وهكذا دعت المدينة والإقليم الريفي المحيط بها باسم أبرشية والأسقف الذي كان يرعى شؤون المدينة أصبح يعرف بأسقف الأبرشية.

وحدث قرب العام مائتين بعد الميلاد أن الكنائس المسيحية المختلفة توحدت في الأقاليم العديدة التي كانت موجودة فيها للدفاع عن الحق الموحى به في الكتاب المقدس والذي أذاعه الرسل. وجميع هذه الكنائس كانت تتفق معاً بخصوص خلاصة الإيمان أو المعتقد المسيحي حسب ما ورد في قانون الإيمان المعروف بقانون إيمان الرسل وكذلك بخصوص اللائحة الرسمية لأسفار العهد الجديد القانونية وكذلك في النظام الأسقفي لحكم الكنائس. وطبعاً بقي أصحاب البدع من الهرطقة خارج نطاق الكنيسة المسيحية مؤلفين من كنائس أو مجتمعات صغيرة هنا وهناك. وأخذت الكنيسة المسيحية الحقبة تعرف أيضاً باسم الكنيسة الجامعة أي الكنيسة الموجودة في أنحاء العالم المختلفة.

آباء الكنيسة يتمعنون في تعاليم الكتاب المقدس بخصوص يسوع المسيح:

يؤمن المسيحيون بأن يسوع المسيح هو ابن الله الأزلي وأنه الأقنوم الثاني للاهوت الأقدس. وهذا التعليم أو المعتقد مبني على تعاليم كلمة الله المقدسة وقد صيغ بشكل منطقي أو نظامي من قبل الكنيسة المسيحية أثناء جهادها ضد أصحاب البدع الكاذبة الذين لم يشأوا الرضوخ إلى تعاليم الكلمة الإلهية. فنحن مدينون إلى هؤلاء القادة المسيحيين الذين درسوا الكتاب المقدس واضعين نصب أعينهم فهم تعاليم الوحي الإلهي بخصوص يسوع المسيح المخلص.

وندعو علماء الدين المسيحيين في العصور الأولى من القرن الميلادي بآباء الكنيسة وقد تكلمنا عن بعضهم في درس سابق وسنأتي الآن إلى ذكر آخرين عاشوا في القرنين الثاني والثالث ب.م.

ايرنايوس: ولد ايرنايوس ما بين العام ١١٥ و ١٤٢ م. في مكان ما في أسيا الصغرى. وقد تربى في مدينة سميرنا المدعوة الآن ازمير. وقد سمع الأسقف بوليكاربوس يعظ في سميرنا فتأثر كثيراً من تعاليمه ومن سيرته. انتقل ايرنايوس إلى مدينة ليون في إقليم غاليا (فرنسا الحالية) وأصبح أسقف تلك المدينة واستشهد فيها في العام ٢٠٠ م. وقد بذل جهوداً كثيرة في سبيل الوقوف على تعاليم الكتاب بأسرها بخصوص يسوع المسيح ويمكن قراءة ثمرة أتعابه العقائدية في كتابه المعروف بكتاب " ضد البدع ".

ترتوليان: ولد ترتوليان ما بين العام ١٥٠ و ١٥٥ م في مدينة قرطاجنة في إفريقيا الشمالية (بالقرب من مدينة تونس الحالية) وقد ذهب إلى رومية حيث درس

الحقوق وعمل بالحمامة. وبعد اهتدائه إلى المسيحية عاد إلى مسقط رأسه حيث أصبح أسقفاً في الكنيسة وكان عالماً فذاً في الفلسفة والتاريخ واستطاع بأن يدافع عن الحقائق الكتابية المتعلقة بيسوع المسيح أكثر من الكثيرين من علماء الدين في الكنيسة.

كليمنت الاسكندري: اشتهر هذا الأب كأحد معلمي المدرسة اللاهوتية

الإسكندرية اللامعين ولد في الإسكندرية بين العام ١٨٢ و ١٨٥ م واستشهد في العام ٢٥١ م.

اوريجينوس: كان اوريجينوس تلميذاً لكليمنت الاسكندري وقد فاق معلمه

علماً ومعرفة ويعد من أعظم اللاهوتيين المسيحيين في تلك الأيام . وقد اشتهر اوريجينوس بعمق تفكيره مما دفعه أحيانا إلى الجيء بنظريات مستحدثة. وقد ساهم مساهمة فعالة مع أستاذه كليمنت الاسكندري في سبيل الوصول إلى عقيدة نظامية مختصة بيسوع المسيح ومبنية على كلمة الله المقدسة.

الكنيسة في التاريخ

الدرس الثامن

الكنيسة تعترف بألوهية المسيح

رأينا في دروسنا السابقة عن الكنيسة المسيحية بأن قادة الكنيسة كانوا يجدون في درس الوحي الإلهي بغية الوصول إلى جميع التعاليم المتعلقة بيسوع المسيح وبعمله الفدائي على الصليب. وكذلك لاحظنا أن احد الدوافع الهامة لدراسة الكتاب المقدس والبحث عن التعاليم القويمة هو ظهور البدع والهرطقات في الكنيسة. وكان أصحاب تلك البدع يعلمون بخلاف التعاليم التي استلمتها الكنيسة من الرسل مؤسسي الكنيسة في مختلف أنحاء المسكونة.

وقد أتينا على ذكر أسماء بعض قادة الكنيسة في العصور الأولى للميلاد والذين كانوا يعرفون أيضاً باسم آباء الكنيسة. وسنأتي اليوم إلى ذكر عقيدة هامة اعترفت بها الكنيسة بشكل منطقي وهذه هي العقيدة الكتابية عن ألوهية السيد يسوع المسيح.

حدث في أوائل القرن الرابع الميلادي أن احد أساقفة الكنيسة في مدينة الإسكندرية والذي كان يدعى أريوس اخذ يعلم بأن السيد المسيح يسوع له المجد هو من خليقة الله وانه كان هناك وقت أو زمان عندما لم يكن المسيح. وهذا طبعاً يخالف تماماً تعليم الكتاب القائل: " في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله. " (يوحنا ١: ١) وقد حاول رئيس أساقفة الإسكندرية بأن يمنع أريوس من بث تعاليمه المخالفة للكتاب ولكن هذا الأخير لو يمتنع عن ذلك بل اخذ ينظم

القصاصد والترانيم التي كانت تعلم بأن المسيح يسوع كان مخلوقاً! وقد حدث انشقاق في الكنيسة بسبب ذلك وبعد مدة طلب الإمبراطور قسطنطين (الذي كان قد اهتدى إلى المسيحية تاركاً الوثنية في العام ٣١٣ م.) من الكنائس في جميع أنحاء العالم عقد مؤتمر أو مجمع كنسي عام وقد حدث ذلك في العام ٣٢٥ م.

اجتمع ممثلو الكنائس المسيحية في مدينة نيقيا الواقعة على ضفاف البوسفور بالقرب من مدينة القسطنطينية أو استانبول وبما أنهم كانوا يمثلون جميع كنائس المسكونة فان مؤتمرهم أو مجمعهم يدعى بالمجمع المسكوني وهو أول المجمع المسكونية في تاريخ الكنيسة.

كان الأسقف أريوس يمثل جماعة صغيرة من الذين كانوا يعتقدون بأن المسيح لم يكن منذ الأزل بل أنه مخلوق فوق البشر ولكنه غير مساو لله الآب في الجوهر. وانبرى للدفاع عن العقيدة الكتابية أسكندري آخر كان شماساً في الكنيسة ويدعى أثناسيوس . وقد رأى هذا الرجل الشجاع بأن الكتاب يعلم أهمية الاعتقاد بالوهية المسيح وبناسوته في آن واحد وان التقليل من شأن عقيدة الوهية المسيح إنما يؤول إلى خسران جميع ما قام به السيد المسيح من اجل فداء البشر من الخطيئة والموت. وقد حدد عمل يسوع بواسطة الملاك الذي قال: "يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لان الذي حبل به فيها هو من الروح القدس، فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع: لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى ١: ٢٠ و٢١).

وهكذا نجد مع أثناسيوس بأن قيمة عمل يسوع المسيح إنما تتعلق به بشكل تام. فإن حالة الإنسان هي تعيسة للغاية حتى أنه لا يستطيع أن ينقذ نفسه من الخطية والشر. الله وحده قادر أن يخلص الإنسان من سلطة الخطية. وهذا هو تعليم الكتاب المقدس. يسوع المسيح هو الأقنوم الثاني لللاهوت وكل عقيدة مغايرة لذلك إنما تجعله غير قادر بأن يكون المخلص. وقد شعر أثناسيوس بهذه الأمور بشكل قوي وقال: أن يسوع المسيح الذي أعرفه كمخلصي لا يمكن أن يكون أقل من الله. .."

وحدث بعد عدة جلسات للمجمع المسكوني أن قرر أساقفة الكنيسة الجامعة بأن آراء وتعاليم آريوس وتلاميذه بخصوص السيد يسوع المسيح هي خاطئة ومنافية لتعاليم الكتاب. لكن آريوس لم يتب عن غيه بل ثابر على الدفاع عن بدعته ولذلك عدّ هو وجميع أتباعه من الهراطقة.

وقد جاهد أثناسيوس أثناء حياته الطويلة كأسقف الإسكندرية في سبيل الدفاع عن العقيدة الصحيحة بخصوص السيد يسوع المسيح واحتمل الاضطهادات العديدة نظراً لتدخل السلطات الحكومية في قضايا الكنيسة. وهنا علينا أن نلاحظ أن الإمبراطور قسطنطين مع وقوفه وقفة صريحة مع المدافعين عن الإيمان القويم إلا أنه كان أول من اخذ يعمل على التدخل في شؤون الكنيسة وسار على مثاله أباطرة الرومان وخاصة في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية. وهذا أمر مؤسف للغاية لان الكنيسة لان الكنيسة المسيحية منذ نشأتها كانت مستقلة كل الاستقلال عن السلطات الحكومية. إنما كانت تعلم رعاياها أن يحترموا الملوك والسلاطين ويعملوا على خير البلاد ولكنها لم تسمح لأي حاكم ارضي بأن يأخذ مكان السيد

المسيح له المجد في سياسة أمور الكنيسة وفي الدفاع عنها. وكان يسوع المسيح قد أعطى المبدأ الوحيد الذي تبني عليه العلاقة بين الدولة والكنيسة وواجبات المؤمن تجاه تلك المنظمات: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. الدولة لها سلطان في نطاقها الخاص والكنيسة لها سلطان في نطاقها الخاص وعلى المؤمن بأن يعطي المنظمات حقهما وعلى الجميع احترام المنظمات ضمن نطاقهما المحدد من قبل الله تعالى.

وقد لخص الأساقفة المجتمعون في نيقية الإيمان المسيحي بقانون إيمان أطول من قانون الإيمان المعروف بالقانون الرسولي والذي كان يستعمل عادة لدى اعتماد المهتدين إلى المسيحية. ومع أن هذا القانون نقح نوعاً ما في المجامع المسكونية التي انعقدت في القرون التالية إلا أنه يرجع في نقاطه الأساسية إلى مجمع نيقية. وبما أن هذا المجمع الشهير فصل في قضية هامة للغاية فلذلك يحق النظر إليه كأهم مجمع مسكوني عقد في تاريخ الكنيسة المسيحية. وفيما يلي نص قانون الإيمان المعروف بالقانون النيقاوي والذي يستعمل في معظم الكنائس الإنجيلية في العالم:

"أؤمن بإله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض وكل ما يرى وكل ما لا يرى. وبرد واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للأب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا خلاصنا نزل من السماء وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء، وصار إنساناً وصُلب أيضاً عنا على عهد بيلاطس البنطي، تألم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي ليس

لملكه انقضاء. وأؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب
والابن يسجد له، وأؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسوليته وأعترف بمعمودية
واحدة لمغفرة الخطايا وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي، أمين."

الكنيسة في التاريخ

الدرس التاسع

عصر البطولة والاستشهاد

وصلنا في درسنا السابق إلى القرن الرابع الميلادي وإلى نقطة التحول الهامة في تاريخ الكنيسة أي انعقاد المجمع المسكوني الأول في مدينة نيقية للفصل في أمور عقائدية هامة.

وقد رينا أهمية تلك الحادثة من عدة نواحي ولاحظنا أيضاً كيف أن اهتداء الإمبراطور قسطنطين ومساهمته في أمور المجمع المسكوني الأول كان بمثابة دخول الكنيسة في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية مرحلة جديدة. بتدخل الدولة في عهد قسطنطين في شؤون الكنيسة يبدأ طور جديد من حياة الكنيسة لا يعمل دوماً لصالحها ويخالف المبدأ الجوهرى المبني على تعاليم الكتاب والذي يفصل الكنيسة عن الدولة ويعطي لكل منهما حقها الخاص للعمل. وقبل أن نستمر في سفرتنا التاريخية عبر القرن الرابع الميلادي سنعود إلى الورا إلى القرن الأول الميلادي وخاصة إلى عصر الرسل باحثين بصورة خاصة في أعمال البطولة التي ظهرت في حياة الكنيسة. وبهذا نبقي على ذلك التوازن بين الأمور العقائدية والنظامية التي بحثناها في دروسنا السابقة وأمور الحياة المبنية على تلك العقائد والأنظمة الكنائسية. وسنرى بشكل واضح أن هؤلاء المسيحيين الذين عاشوا قبل عصر اعتراف الدولة بشرعية الديانة المسيحية كانوا مستعدين دوماً للموت في سبيل إيمانهم بالرب يسوع المسيح

وأهم عانوا الاضطهادات الشديدة نظراً لعدم تخليهم عن الإيمان. ومن الزاوية البشرية يمكن القول أنه لولا بطولة مسيحيي القرون الثلاثة الأولى واستشهاد البعض منهم لما نجحت المسيحية مطلقاً ولما انتصرت في النهاية على الإمبراطورية الرومانية وعلى حضارتها الوثنية.

كان السيد المسيح له المجد قد اخبر تلاميذه بأنه كما اضطهد أثناء حياته على الأرض هكذا سيتعرضون للاضطهاد بعد ذهابه إلى السماء. وقد تحققت كلمات الرب بصورة خاصة في القرون الثلاثة الأولى للميلاد نظراً لاشتعال نيران الاضطهادات ضد المؤمنين بالمسيح. ويمكن النظر إلى هذه الحقبة من التاريخ الكنسي كحقبة البطولة والشجاعة، وهذا يكسبنا نظرة كلها الاحترام والإعجاب لجميع الذين عاشوا في تلك الأيام وخاصة لأبطال الإيمان من رسل وشهداء.

كان أول من بشر بالإنجيل بعد صعود المسيح إلى السماء الرسول بطرس وقد تعرض هو والرسول يوحنا إلى اضطهادات مستمرة نظراً لعملهم الديني. فقد شفى بطرس رجلاً أعرجاً وأفهم الجموع بأنه قام بتلك المعجزة بواسطة قوة المسيح الذي قام من الأموات. فألقي القبض عليه وعلى يوحنا لأنهما شهدا بقيامه المسيح من القبر. أمضى الرسولان ليلة في السجن ثم جيء بهما إلى المجمع اليهودي من اجل المحاكمة. وقد تعرضا للتهديد والضغط وطلب منهما عدم المناداة باسم يسوع الناصري. ولكن جواب الرسولان كان: "إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا."

فقل يوحنا وبطرس راجعين إلى جمهور التلاميذ في القدس وأخبرا الجميع بما حدث في المجمع فما كان منهم إلا أن رفعوا دعائهم بصوت واحد إلى الله طالبين منه تعالى أن يمنحهم الشجاعة الكافية للاستمرار في التبشير والمناداة بيسوع المسيح بالرغم من هبوب ريح المعارضة!

وحدث بعد مدة من الزمن أن كثرت المعجزات التي كان الرسل يقومون بها وأخذت الكنيسة في مدينة القدس تنمو بسرعة فما كان من السلطات الدينية في الهيكل إلا أن أُلقت القبض من جديد على الرسولين الشجاعين بطرس ويوحنا! ولكن الله أرسل ملاكاً في الليل ففتح أبواب السجن وأطلق سراحهما وأمرهما بأن يذهبا إلى الهيكل ويشيرا علناً بالمسيح يسوع! فبكر الرسولان وذهبا إلى الهيكل وناديا بالمسيح كمخلص العالم الوحيد. وقد دهش حافطي السجن عندما ذهبوا في الصباح إلى غرفة بطرس ويوحنا للمجيء بهما إلى المجمع ودهشوا لرؤيتهم الأبواب المغلقة والسجينين غير موجودين ضمن السجن! وعندما اخبروا أعضاء المجلس عن اختفاء السجينين وقع المجمع في حيرة كبيرة إلى أن جاء احدهم وأخبرهم بأن السجينين يتمتعان بحرية تامة وأنها يبشران بالمسيح. وقد جيء بهما من جديد أمام المجمع اليهودي وكرر الرسولان قولهما بخصوص وجوب إطاعة الله قبل إطاعة الناس. وبعد جلسة سرية عقدها المجمع والتي دافع غمائليل عن الرسل تقرر عدم قتلها واكتفوا بضربهما وبتهديدهما. ولكن الرسولين ذهبا من المجمع فرحين لأنهما تألما في سبيل المسيح والبشارة.

وقد استمر اضطهاد الكنيسة والقي القبض بعد ذلك على الشماس استفانوس وجيء به أمام المجمع ولكنه لم يسمح له بأن يستمر في الدفاع عن نفسه بل قتل بشكل مريع خارج أسوار المدينة المقدسة وبذلك صار أول شهيد مسيحي الذي ختم بدمه الزكي إيمانه بالمسيح.

وتلا استشهاد استفانوس موجة شديدة من الاضطهاد لحقت بالمسيحيين في القدس وقد لعب أثناءها شاول الطرسوسي وهو من بدعة الفريسيين دوراً كبيراً إذ أنه كان يذهب من مكان إلى آخر في فلسطين ملقياً بالرجال والنساء بالسجن بسبب إيمانهم بالمسيح ولكن الكنيسة استراحت من الاضطهاد بعد اهتداء شاول الطرسوسي إلى الإيمان القويم، استراحت لمدة قصيرة تنفس أثناءها المؤمنون الصعداء وشكروا الرب على تميم وعده للكنيسة بأن لا تقوى عليها أبواب الجحيم.

ولم يكن هيرودس الطاغية من محبي الديانة المسيحية ولذلك نراه يمد يده الأثيمة ويقضي بها على الرسول يعقوب بن زبدي وهو أخ الرسول يوحنا. وكان مزماً أيضاً بأن يقتل بطرس ولكن الملاك أنقذ الرسول وقضى على مؤامرة هيرودس قضاءً مبرماً.

رأينا في دروس سابقة أن المضطهد شاول صار يدعى باسم بولس لرسول بعد توبته وإيمانه بالمسيح. وقد تعرض هو بصورة خاصة إلى اضطهاد اليهود له نظراً لجهاده التام في سبيل نشر الإنجيل قي كل مكان. وحيثما ذهب الرسول كان يلاقي العراقيين من قبل الذين لم يؤمنوا برسالته. وأخيراً بعد انتهاءه من رحلته التبشيرية

الثالثة هوجم في مدينة القدس وكاد بأن يخسر حياته لولا تدخل السلطات الروماني. ولم يشأ بأن يحكم عليه بتهمة الشغب حاكمان رومانيان ولكنه أي بولس لم يستطع الحصول على براءته منهما فلذلك رفع قضيته إلى قيصر رومية. ولما وصل إلى رومية بعد رحلة بحرية مليئة بالأخطار وضع في سجن خصوصي أي أنه سمح له بأن يستأجر غرفة بشرط أن يكون دوماً بصحبة جندي روماني ولم يمنع أصحابه من المجيء إليه والتحدث معه في شؤون الكنيسة. وقد كتب الرسول من رومية عدة رسائل حفظ البعض منها لنا في العهد الجديد. وسنأتي على ذكر بقية أمور بولس وبطولة وشجاعة غيره من المسيحيين في درسنا المقبل إن شاء الله!

الكنيسة في التاريخ

الدرس العاشر

عصر البطولة والاستشهاد (٢)

في درسنا السابق وصلنا إلى موضوع مجيء الرسول بولس إلى مدينة رومية وإقامته فيها لمدة ما بصحبة جندي روماني. ولم تكن حرية الرسول مقيدة لأنه سمح له بأن يستقبل الأخوة المؤمنين وكذلك جميع الذين كانوا يودون الوقوف على بشارة يسوع المسيح. ومن المرجح أن الرسول حصل بعد سنتين من وصوله إلى رومية على براءته من قيصر رومية وانه أطلق سراحه من الاعتقال والإقامة الجبرية فذهب إلى أماكن أخرى من عالم حوض البحر المتوسط مبشراً بالإنجيل ومتفقداً حالة الكنائس المسيحية التي أسسها هو وغيره من رسل المسيح وتلاميذه.

نيرون أول إمبراطور يضطهد المسيحيين:

لما كان الرسول بولس يبشر في مدينة كورنثوس سيق من قبل جماعة يهودية إلى مقر الحاكم الروماني غاليو وألصقت به تهم عديدة غير مبنية على الواقع. لكن الحاكم الروماني لم يشأ بأن يتدخل في قضية دينية بحجة ولذلك طلب من المشاغبين أن يذهبوا عنه بسرعة وألا يزعجوه. بمشاكل مشاهمة. ولما لم يقتنع هؤلاء نصبوا أنفسهم أعداء للرسول وللإنجيل اضطر غاليو بأن يطلب من الجنود المرافقين له بأن يطردوا اليهود من دار المحكمة. وهذه الحادثة تبين لنا بصورة واضحة أن الحكومة الرومانية لم تتدخل في بادئ الأمر في شؤون الديانة المسيحية وأن الإنجيل لم يلاق عراقيل

حكومية أو رسمية لمدة ما وهذا طبعاً ساعد من ناحية على نشر الكنيسة المسيحية في مختلف أقاليم الإمبراطورية الرومانية. لكن هذا الموقف الحيادي من قبل رومية لم يلبث بأن طرأ عليه تغيير كبير إذ انقلبت رومية بعد مدة إلى مضطهدة للكنيسة.

حدث في شهر تموز- يوليو من العام ٦٤ م. أن شبت حرائق هائلة في مدينة رومية وذلك أثناء ملك نيرون الإمبراطور . وقد ظلت النيران مشتتة في العاصمة الرومانية لمدة ستة أيام وليالي إلى أن قضت على معظم أبنية المدينة الجميلة. وقد انتشرت الإشاعات بعد تلك الحادثة المؤلمة أن الإمبراطور نيرون ذاته هو الذي أشعل النار التي قضت على رومية. وابتدأ الناس يظهرون كراهيتهم ومقتهم لنيرون فما كان من هذا الأخير إلا أن نشر الإشاعات بأن المسيحيين كانوا مسيبي الحريق. طبعاً لم يكن مؤمنو رومية مسؤولين عن ذلك الأمر ولكن السلطات الحكومية لم تأبه لاحتجاجاتهم بل ألقت القبض على العديدين منهم وأخذت تضطهد جميع الذين كانوا يحملون اسم مسيحي. صلب البعض من المسيحيين في رومية، وآخرون وضعوا داخل جلود حيوانات مفترسة وجيء بكلاب وحشية للقضاء عليهم. وكذلك احرق بعض المؤمنين في حديقة نيرون أثناء الليل لإتارة الطريق لذلك الإمبراطور الهمجي وهو يتجول فيها بصحبة أصدقائه وخلانه! وبما أن الكتاب المقدس لا يخبرنا عن هذه الأمور فإننا نعتمد فيها على ما حفظ في تاريخ الكنيسة للكلام عن آخر أيام الرسولين بولس وبطرس. فلما قرر الرومان إعدام بطرس الرسول بالصلب طلب منهم أن يصلبوه ورأسه إلى أسفل بعكس ربه ومخلصه يسوع الذي كان صلب خارج أسوار القدس قبل نحو ثلاثين سنة. وبما أن بولس كان مواطناً رومانياً فإنه لم

يصلب بل قطع رأسه. وهكذا مات الرسولان اللذان عملا على نشر رسالة المحبة والسلام والمصالحة مع الله بأمر طاغية روماني ولكن رسالتهما لم تمت بل تابعت مسيرتها إلى أن انتصرت على رومية بعد نحو ٢٥٠ سنة! ومن المهم الملاحظة أن الاضطهاد الذي تكلمنا عنه لم يكن عمومياً بل انحصر بمدينة رومية وضواحيها.

اغناطيوس، يوستينيوس وبوليكاربوس يستشهدون في سبيل المسيح:

يمكن القول أنه من العام ٦٨ إلى العام ١٦١ م. لم يحدث هناك اضطهاد عام للمسيحيين في أنحاء الإمبراطورية الرومانية بل تعرض بعض المؤمنين إلى الموت هنا وهناك. ومن أهم الشهداء في هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة: اغناطيوس أسقف أو مطران مدينة أنطاكية، يوستينوس المدافع عن المسيحية الذي اشتهر بكتاباتة اللامعة في سبيل الدفاع عن الإنجيل ضد أعداء الوثنيين وبوليكاربوس أسقف مدينة سميرنا المعروفة الآن باسم أزمير. ونكتفي الآن بالكلام عن استشهاد بوليكاربوس. وأهمية هذا الأسقف الشجاع هو أنه آخر معلم مسيحي كان قد تتلمذ مباشرة على يد رسل السيد المسيح. فبعد أن القي القبض عليه جيء به إلى ملعب سميرنا الشهير الذي كان غاصاً بالجماهير. وطلب الحاكم الروماني من بوليكاربوس بأن يشتم السيد المسيح له المجد فيطلق سراحه! فقال الأسقف المسن مجيباً على كلام الحاكم " لقد خدمت السيد المسيح مدة ٨٦ سنة ولم أنل منه أي شيء رديء فكيف تطلب مني أن أشتم المسيح ملكي الذي خلّصني؟ أنا مسيحي!" فقال الحاكم لجماهير عابدي الأصنام الهائجين في مدارج الملعب: " لقد اعترف بوليكاربوس بأنه مسيحي!"

فصرخت الجموع: "ليحرق، ليحرق" فأسرع البعض وجاءوا بالخطب ليحرقوا المسيحي الامين. وأرادوا أن يربطوه ولكنه قال لهم: اتركوني طليقا: إن الذي سيقويني على احتمال لهب النار سيمنحني القوة للوقوف هنا بدون أن اربط. فأشعلوا كومة الخطب حول بوليكارياوس الذي بدأ يصلي قائلاً: "أيها الرب القادر على كل شيء أبا ربنا يسوع المسيح، أحمدك لأنك حكمت بأنني مستحقاً في هذا اليوم وفي هذه الساعة بأن أكون من عداد الشهداء وان أذوق كأس مسيحك!" وهكذا مات أسقف سميرنا المسن خاسراً حياته الأرضية وراجاً حياة الأبدية في ملكوت الله!

الكنيسة في التاريخ

الدرس الحادي عشر

عصر البطولة والاستشهاد (٣)

تعرضت الكنيسة المسيحية إلى اضطهادات عديدة منذ نشأتها. وفي الدرسين السابقين تكلمنا عن الاضطهادات التي لحقت بالكنيسة في القرن الأول الميلادي وعن الإمبراطور نيرون الذي كان أول من قام باضطهاد المسيحية بصورة رسمية. وقد استشهد في سبيل السيد المسيح العديد من الرجال والنساء والشبان والشابات وحتى الأولاد الصغار. ولكن هذه الاضطهادات لم تكن مستمرة بل كانت هناك فترات راحة للكنيسة استطاعت أثناءها أن تنفس الصعداء وكانت هذه الفترات طويلة الأمد في بعض الأحيان. إلا أنه يجب أن يقال بأنه حتى أثناء عدم وجود اضطهاد عام كان البعض من قادة الكنيسة يستشهدون لعدم رغبتهم في الاستسلام إلى الوثنيين الذين كانوا يطلبون منهم إنكار الرب يسوع المسيح.

دوام الاضطهاد أثناء حكم الإمبراطور مرقس اوريلئوس:

حكم رومية من العام مائة وواحد وستين إلى العام مائة وثمانون الإمبراطور مرقس اوريلئوس الذي يعد من اشد أعداء المسيحية. وقد اصدر قراراً بأن تعطى أموال ومقتنيات المسيحيين إلى الذين يشتكون عليهم. وهذا دفع العديد من الوثنيين إلى تقديم الشكوى على المسيحيين في مختلف أنحاء الإمبراطورية للحصول على الأموال التي كانت لدى بعض المؤمنين. وكان يؤتى بالمسيحيين إلى المحاكم ويحكم

عليهم زوراً وتعطى ممتلكاتهم للمشتكين عليهم. واطهر المضطهدون وحشية وهمجية لا يمكن الكلام عنها وجاهدوا جهاداً كبيراً في سبيل حمل المؤمنين على إنكار المسيح وتقديم آيات الولاء للأصنام . لكن أتباع المسيح لم ينكروا مخلصهم بل برهنوا بواسطة دمائهم أنهم لم يريدوا أن يربحوا العالم لمدة وجيزة ويخسروا أنفسهم.

لدى وفاة الطاغية مرقس اوريلوس هدأت موجة الاضطهادات العنيفة وتمكنت الكنيسة من الحصول على فترة من الراحة لا يستهان بها. ويمكن استثناء مدة احد عشر عاماً أثناء حكم الإمبراطور سيفيروس من هذه الحقبة الهادئة إذ تعرض المؤمنون في الإسكندرية لاضطهاد قوي. ومن العديدين الذين استشهدوا في سبيل إيمانهم كان والد اوريجينوس الذي أصبح بعد مدة من الزمن من المع علماء الدين في الكنيسة. كان أوريجينوس ولدا فتيا عندما حكم على والده بالموت. وقد حاول اوريجينوس بأن يقدم نفسه للاستشهاد مع والده إلا أن أمه ردعته عن ذلك.

وبعد سنوات قليلة من هذه الحادثة استشهد عدد من المسيحيين في قرطاجنة في أفريقيا الشمالية (تونس الحالية) . ومن ماتوا في سبيل إيمانهم المسيحي امرأتان في مقتبل عمرهما. كانت تتعلمان عن المسيحية أثناء هذه المدة فألقي القبض عليهما وسيقتا مع بقية المؤمنين والمؤمنات إلى السجن. ولكن قبل أن تذهبا إلى ملاقاة حتفهما اعتمدتا في السجن. ولم تمض أيام قليلة إلا وألقيتا مع مسيحيين ومسيحيات آخريين إلى ساحة الألعاب في قرطاجنة حيث قضت عليهما اسود مفترسة.

المحاولة الأخيرة للقضاء على الكنيسة بشكل تام:

لما جاء الإمبراطور ديسيوس إلى دفة الحكم في العام مائتان وتسعة وأربعون أصدر أمراً بالقضاء على الكنيسة المسيحية بصورة تامة. وكان هذا الاضطهاد عاماً في جميع أقسام الإمبراطورية الرومانية. لكن هذا الإمبراطور الظالم لم يبق على العرش سوى سنتين وهكذا استراحت الكنيسة لمدة سبع سنوات إلى أن قام إمبراطور آخر اسمه فاليريان الذي سار على منوال ديسيوس وأمر بتدمير الكنيسة حيثما وجدت في مملكته الشاسعة. ولكن الله ترأف على خائفيه وأعطاهم راحة بعد ذهاب فاليريان عن العرش استمرت نحو أربعين عاماً. وحدثت آخر موجة اضطهاد في مطلع القرن الرابع الميلادي أثناء حكم الإمبراطور ديو كلشن وجاليربوس.

اتصفت هذه الموجة الأخيرة من الاضطهادات بعنف لم يسبق له مثيل وكان الوثنية كانت قد استجمعت كل قواها وقوات الجحيم للتغلب على كنيسة الرب يسوع المسيح. وقد دمرت عدة كنائس وأحرقت نسخ عديدة من الكتب المقدسة. وكان عدد الذين استشهدوا في هذه الموجة الأخيرة أكبر بكثير من عدد الذين ماتوا في سبيل المسيح أثناء جميع الاضطهادات التي جرت في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الميلاد. وكانت غاية هذه الهجمات العنيفة على أتباع المسيح ليس فقط التضيق عليهم وحملهم على إنكار دينهم بل نحو الكنيسة من الوجود بشكل نهائي. وقد توفي أو بالأحرى استشهد أثناء هذه الفترة اوريجينوس الشهير.

وأثناء هذه الاضطهادات لجأ المسيحيون في رومية إلى تلك الأنفاق أو السرايب التي كانت توجد خارج مدينة رومية. وإذا لم يكن يسمح بدفن الأموات ضمن حدود رومية كان الناس قد حفروا العديد من السرايب خارج المدينة لدفن

أمواتهم. وكانت هذه السرايب طويلة ومتقاطعة ومتشابكة في أماكن عديدة تحت الأرض ويمكن تقدير طولها بنحو ثمان مائة كم. وكانت هذه الممرات على عمق عشرة أمتار أو أكثر وكان الأموات يدفنون في جوانب الأنفاق في صفوف متتالية. وقد احتبأ الكثير من المسيحيين في هذه السرايب حيث كانوا يقومون بعبادة الله وكذلك يقومون بدفن بقايا أمواتهم بعد أن كانت الحيوانات المفترسة قد قضت عليهم.

مرض الإمبراطور جاليريوس مرضاً خطيراً وكان يتعذب بشكل يصعب احتماله. وهكذا أمر من فراش مرضه الذي أصبح فراش موته أيضاً، أمر بإيقاف الاضطهاد وصادر أمره الشهر جداً في العام ثلاثمائة واحد عشر وقد طلب من المسيحيين أن يصلوا من أجل شفائه ومن أجل سلام الإمبراطورية. لم يكن قرار الإمبراطور نصراً تاماً للمسيحية على الوثنية إذ أنه لم يكن في الحقيقة إلا شبه تسامح أو نصف تساهل مع المسيحية. ولكن النصر التام كان على الأبواب إذ أنه لم تمض سنتان إلا وأصبح إمبراطور روماني مسيحياً وابتدأت الوثنية تختصر وتستعد للفظ أنفاسها الأخيرة!.

وسوف نتكلم عن ذلك في درسنا المقبل إن شاء الله.

الكنيسة في التاريخ

الدرس الثاني عشر

انتصار الكنيسة على الوثنية

بهذه العلامة تنتصر!

في العام ٣٠٦ م. أعلن الجيش الروماني المرابط في الجزر البريطانية قسطنطين إمبراطوراً. وقد امتدت سلطته أيضاً إلى بلد غاليا (فرنسا الحالية). لكن الأقسام الأخرى من الإمبراطورية الرومانية فإنها كانت خاضعة لمكسنتيوس الذي كان يرغب في السيطرة على سائر أنحاء الإمبراطورية ولذلك فإنه حاول القضاء على قسطنطين. وقد ناصب الإمبراطور مكسنتيوس قسطنطين العداء وأمر بإنزال التماثيل أو الأنصاب التي كانت تمثل قسطنطين والتي كانت موجودة في أماكن عديدة في إيطاليا. فما كان من قسطنطين إلا أن قرر مهاجمة خصمه بأسرع ما يكون ولذلك فإنه قدم على رأس جيش من بريطانيا إلى إيطاليا واستعد لملاقاة مكسنتيوس بالقرب من مدينة رومية. وتلاقت الجيوش المتخاصمة في مكان يبعد نحو ١٦ كم. شمال العاصمة الرومانية. وكان نهر التيبر والجسر المبني عليه يفصلان جيوش مكسنتيوس عن رومية. وكان جيش مكسنتيوس أكبر من جيش قسطنطين بنحو ثلاثة أضعاف وكان يحتوي على زهرة الجحافل الرومانية.

وجد قسطنطين نفسه في مأزق حرج للغاية إذ أنه لم يكن يعلم كيف يتغلب بجيوشه الصغيرة على جيوش خصمه الكبيرة. شعر قسطنطين بحاجة إلى معونة إلهية

وقد كان من عابدي مثرا وهو آلهة وثنية كانت تعبد في بلاد الفرس وكان والد قسطنطين أيضاً من عابديه. وكانت عبادة مثرا منتشرة في الجيش الروماني إذ أنهم كانوا يعتقدون أنه كان قادراً على إعطاء النصر لجميع الذين كانوا يتعبدون له نظراً لقوته الكبيرة.

يقال أنه في الليلة التي سبقت المعركة بين قسطنطين مكسنتيوس رأى قسطنطين عند غروب الشمس صليماً في الأفق وكان الصليب يحمل هذه الكلمات بشكل منير: بهذه العلامة تنتصر! وفي اليوم التالي التقى الجيشان في معركة حامية الوطيس وكان ذلك في الثامن والعشرين من تشرين الأول - أكتوبر في السنة ٣١٢ م. ومع صمود جيوش مكسنتيوس بشكل قوي إلا أنها لم تقدر الوقوف في وجه قسطنطين وجنوده المندفعين وهكذا انكسرت جيوش مكسنتيوس وغرق هذا الأخير وهو يحاول الهرب على جسر نهر التيبير.

قرار ميلانو بمنح المساواة بين الديانات في الإمبراطورية الرومانية:

كانت معركة جسر ميلفين الذي يصل ضفتي نهر التيبير من أعظم وأهم المعارك في التاريخ إذ أنه جعلت من قسطنطين سيد الإمبراطورية الرومانية بأسرها. ولكن لم يقتصر ظفر قسطنطين على الأمور السياسية بل أنه قام بعمل كان له التأثير الديني الكبير. فقد شعر هذا الإمبراطور الظافر أن نصره كان قد تم بواسطة مساعدة إله المسيحيين ولذلك صار قسطنطين مسيحياً وهكذا أضحي من كان من عابدي مثرا من أتباع يسوع المسح نور العالم.

وقد أصدر قسطنطين في العام ٣١٢م. قراراً تمتح به جميع الديانات في الإمبراطورية الحرية والمساواة. لم يكن هذا القرار الذي أصدر من مدينة ميلانو في شمالي إيطاليا لجعل المسيحية ديانة الدولة الرومانية ولكنه أعطى لهذه الديانة حرية أعظم من التي كانت تتمتع بها منذ إصدار قرار جاليريوس قبل بضع سنوات. وهكذا انتهت الاضطهادات التي كانت الكنيسة المسيحية تقاسيها وأصبحت المسيحية على قدم المساواة مع بقية الديانات في رومية.

انتصار الكنيسة هو معجزة كبيرة:

يمكن النظر إلى قرار ميلانو كانتصار للمسيحية على الوثنية وهذا الانتصار من أعجب حوادث التاريخ البشري. فالكنيسة كانت منذ نشأتها تضم جماعة من المؤمنين بيسوع المسيح وكانت ل تتمتع بأية قوة أرضية كالقوة التي كانت تتمتع بها رومية. وكان أكثر المؤمنين من عامة الشعب ولم يكونوا متمتعين بثقافة رسمية عالية. أما رسالة الكنيسة فأنها كانت تعد كجهالة أو كحجر عثرة من قبل الكثيرين من الناس. وقد وقفت الكنيسة في وجه عوامل جبارة كانت كلها تعمل ضد الكنيسة كالمال والعدد والثقافة والقوى السياسية والعسكرية: العالم بأسره وقف ضد الكنيسة المسيحية وحاول القضاء عليها في مهدها. وكذلك كانت الكنيسة تعاني من أزمات داخلية قوية كعدم الانصياع إلى قوانين الإيمان والأخلاق من قبل بعض أعضائها ومعاداة الديانات الوثنية لها ولعقائدها وقيام البدع الكاذبة التي كان لابد من القضاء عليها بالرجوع إلى تعاليم الكتاب المقدس. فمع وجود هذه الظروف الغير مؤاتية

لنمو وازدهار الكنيسة نرى أن الكنيسة نمت وبعد نحو ٣٠٠ سنة انتصرت على أعدائها انتصاراً باهراً.

يا ترى كيف تمكنت الكنيسة المسيحية من الانتصار بالرغم من جميع الدلائل التي كانت تشير إلى عكس ذلك أثناء القرون الثلاثة الأولى من الميلاد؟ يمكن الإشارة إلى عدة عوامل ومنها استعداد المؤمنين بالمسيح يسوع على الاستشهاد في سبيل مخلصهم وربهم. وهكذا اختبرت تلك الأعوام العديدة حقيقة لا مجال فيها للشك وهي أن دماء الشهداء هي بذار للكنيسة. لو لم يظهر المسيحيون انفصاهم التام عن الوثنية وعن اليهودية لما استطاعوا الثبات إلى النهاية.

ولكن الجواب التام والمقنع لسؤالنا المتعلق لسؤالنا المتعلق بكيفية انتصار الكنيسة هو أن ذلك تم بواسطة يسوع المسيح سيد الكنيسة وربها الذي كان يسهر على حالتها من عرشه السماوي والذي اظهر صحة كلامه الذي قاله لتلاميذه أثناء حياته الأرضية عندما قال لهم له المجد إن أبواب الجحيم لن تقوى على كنيسته المقدسة.

الكنيسة في التاريخ

الدرس الثالث عشر

نتائج اهتداء قسطنطين إلى المسيحية

فشلت جميع محاولات أباطرة الرومان في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الميلاد للقضاء على الكنيسة المسيحية. وأخيراً اهتدى الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية واعتنق الديانة التي كان أسلافه قد عملوا جهدهم للقضاء عليها قضاء مبرماً! وكما رأينا في درسنا السابق، يمكن النظر إلى دماء الشهداء المسيحيين كأحد العوامل الهامة التي أدت إلى انتصار الكنيسة على الوثنية، ولكن كما استنتجنا أيضاً العامل الرئيسي لانتصار الكنيسة في أيامها الأولى هو سيدها وربها يسوع المسيح الذي لم ينقطع عن الاهتمام بها ورعاية شؤونها بعد صعوده المجيد إلى السماء!

أما اليوم فإننا سنبحث في الأمور التي تمت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي وخاصة النظر إلى بعض النتائج لاهتداء قسطنطين إلى المسيحية.

نقطة تحول هامة في تاريخ الكنيسة: العام ٣١٣م.

يمكن النظر إلى العام ٣١٣ كنقطة تحول هامة في تاريخ الكنيسة لان قرار ميلانو الذي أصدره الإمبراطور منح المسيحيين لأول مرة في تاريخهم نفس الحقوق التي كان يتمتع بها معتقو الديانات الأخرى. وهكذا أصبح المسيحيون يتمتعون لأول مرة بحرية الاعتقاد بالإيمان المسيحي وبنشره في كل مكان.

كم تغيرت الأحوال في مطلع القرن الرابع الميلادي! ها إن الإمبراطور الذي اعتلى عرش رومية كان من أتباع المسيح! وعضواً عن أن يكون هناك سيد مضطهد للكنيسة ها إننا نراه يغدق عليها بمنح كثيرة. وقد أعطى قسطنطين الأموال الكثيرة لبناء كنائس فخمة في القسطنطينية والقدس وبيت لحم وأماكن أخرى ذات أهمية في تاريخ الكنيسة الرسولية. وبما أن الكنيسة المسيحية كانت تعتبر يوم الأحد كيوم الراحة الأسبوعي نرى قسطنطين يصدر أمراً بمنع العمل في يوم الأحد.

العالم يغزو الكنيسة:

علينا ألا ننظر أن الكنيسة استفادت بصورة مطلقة من اهتداء قسطنطين ومن جميع القرارات التي أصدرها إذ أن هناك أمور معينة لم تكن لتوجد في الكنيسة لو لم تصبح المسيحية ديانة الدولة الرسمية. مثلاً كان الناس قبل إصدار قرار ميلانو الذي أعطى المسيحية الحرية المطلقة، لا يقبلون إلى المسيحية إلا إذا كانوا من المؤمنين المقتنعين أن المسيح ابن الله هو مخلصهم الوحيد. من الناحية الرسمية كان من العار للإنسان أن ينتمي إلى الكنيسة. لكن الأمور تغيرت بعد قسطنطين إذ أنه بقبوله للديانة المسيحية وبنذه للوثنية صار الناس يفتدون إلى الكنيسة بدون إيمان حقيقي وكل ما يبتغون كان الحصول على وظائف عالية في الدولة أو الجيش أو أن يعدوا من الطبقات العالية في المجتمع. وحتى إيمان قسطنطين إن لم نشك فيه فانه كان إيماناً ضعيفاً وكانت حياته غير مطابقة لمبادئ المسيحية السامية.

وهكذا نقول إن ما ربحته الكنيسة من الناحية العددية خسرت من الناحية الروحية. وإن كنا نعد قرار ميلانو كانتصار عظيم للكنيسة على الوثنية فانه لا بد من

القول أيضاً أنه فتح مصاريع الأبواب التي تغلغل منها نهر فساد عظيم إلى جسم الكنيسة. هذا لا يعني أن الكنيسة بعد قسطنطين خسرت كل شيء كانت قد ربحته في القرون الأولى إلا أنه لا بد من النظر إلى تاريخ الكنيسة من وجهة نظر واقعية ورؤية الأمور الحسنة للسير على منوالها في أيامنا الحاضرة والابتعاد عن الأمور المضرة بمصلحة الكنيسة والتي نراها تعمل في الكنيسة منذ أيام القرن الرابع الميلادي.

العلاقة بين الكنيسة والدولة:

حدث بعد انتهاء قسطنطين الإمبراطور أن الدولة أسبغت على الكنيسة المسيحية إعطايًا كثيرة ولكنها طلبت من الكنيسة في نفس الآن أن تعطيهها صوتاً هاماً في أمورها الخاصة. وهذا أمر يحزن جميع المسيحيين الذين يؤمنون مع الكتاب بأن الدولة هي من وضع الله تعالى وكذلك الكنيسة ولكنهما يعملان في حقلين مختلفين وأن على الدولة أن لا تتدخل في شؤون الكنيسة كما أن على الكنيسة أن لا تتدخل في شؤون الدولة.

ولكنه نشأ منذ أيام قسطنطين موضوع العلاقة بين الكنيسة والدولة ولم يكن عبارة عن موضوع نظري بل كان مشكلة عملية وسنلاحظ أثناء دراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية في العصور التالي أن عدم التقيد بتعاليم الكتاب بخصوص استقلال الدولة عن الكنيسة والكنيسة عن الدولة أدى إلى منازعات عديدة كانت الكنيسة والدولة بغنى عنها.

محاولة أخيرة لإحياء الوثنية:

اعتلى عرش الإمبراطورية الرومانية في العام ٣٦١ م جوليان وهو ابن أخ قسطنطين الكبير. وكان قد نشأ مسيحياً ولكنه كان وثنياً في صميم حياته. وما أن أصبح سيد رومية حتى أعلن بصورة رسمية أنه وثني ولذلك يدعى في تاريخ الكنيسة باسم جوليان الجاحد نظراً لارتداده عن الديانة المسيحية التي تربى فيها.

اضطهد جوليان الجاحد المسيحيين بشكل غير عنيف وحاول القضاء على المسيحية لا على طريقة أباطرة الرومان الأقدمين بل باللجوء إلى قلمه. فقد صار يكتب ضد المسيحية ويهزأ بها ويحاول إظهار المعتقدات المسيحية وكأنها بدون معنى. لكن جوليان فشل فشلاً ذريعاً في محاولته ولم يستطع إحياء الوثنية إذ بقيت معابدها مقفرة ومذابحها بدون دخان. إن الوثنية الرسمية كانت قد ماتت ولم يكن باستطاعته إرجاع الحياة إليها. وبعد سنتين من اعتلاءه العرش الروماني ذهب جوليان لمحاربة الفرس وجرح أثناء معركة حامية جرحاً دامياً. ويروى عنه أنه ملأ يده بدمه النازف ورمى به إلى السماء صارخاً: لقد انتصرت في النهاية أيها الجليلي! وهكذا انتهت بالفشل التام المحاولة الأخيرة لإنهاض الوثنية من قبرها. موت الإمبراطور الجاحد جوليان وثابتت الكنيسة على سفرهما في بحر هذا العالم المضطرب!

الكنيسة في التاريخ الدرس الرابع عشر المجامع المسكونية

أهمية المجامع المسكونية في تاريخ الكنيسة:

عقدت في تاريخ الكنيسة المسيحية عدة مجامع أو اجتماعات ضمت قادة الكنيسة من مختلف أنحاء العالم للبحث في أمور الكنيسة وخاصة للبت في القضايا العقائدية على ضوء تعالين الكتاب المقدس الدستور الوحيد للإيمان والحياة. ولدى قراءتنا لسفر أعمال الرسل نلاحظ أن أول مجمع كنائسي عقد في القسم الأول من القرن الميلادي الأول في مدينة القدس. وقد بحث الرسل إثناء ذلك الاجتماع في القضايا الناشئة عن دخول الوثنيين المهتدين إلى الكنيسة. وقد اتفقت الكنيسة على أن الله يدعو الوثنيين أيضاً للتوبة والإيمان وان كل من آمن بالمسيح يسوع صار من أولاد إبراهيم ووارثاً للوعد الذي قطعه الله مع عبده وخليله.

لم تكن جميع المجامع التي عقدت في تاريخ الكنيسة القديم، مجامع مسكونية. بل أنه عقدت أيضاً مجامع إقليمية حيث كانت الكنائس في إقليم ما تبحث في قضايا مشتركة. وكذلك كانت هناك أيضاً مجامع وطنية أي ضمن لبلد واحد وكانت تشمل عدة أقاليم وكان لها تأثير معين في الوطن لكننا سنهتم في دراستنا هذه لتاريخ الكنيسة المسيحية فقط بتلك المجامع التي انعقدت للبحث في الأمور التي تهتم الكنيسة في كل أنحاء العالم. وتسمى هذه المجامع الكنسية بالمجامع المسكونية وهذه الكلمة

تستعمل إلى يومنا هذا في الكلام عن الاجتماعات التي تعقد للبحث في شؤون الكنيسة في مختلف بلدان العالم والتي تضم ممثلين من أكثر من بلد أو قارة واحدة.

ولم تكن هناك أية منظمة لعبت دوراً هاماً كالدور الذي لعبته المجمع المسكونية التي انعقدت في تاريخ الكنيسة القديم. وسوف نتكلم بصورة خاصة عن المجمع المسكونية التالية: ١: مجمع نيقية (٣٢٥)، ٢: مجمع القسطنطينية (٣٨١)، ٣: مجمع أفسس (٤٣١)، مجمع خلكدونية (٤٥١).

مجمع نيقية:

كنا قد تكلمنا سابقاً عن هذا المجمع المسكوني الذي اجتمع بناء على دعوة الإمبراطور قسطنطين وذلك في العام ٣٢٥. وكان السبب الرئيسي لدعوة هذا المجمع الصراع بين أتباع آريوس وأتباع أثناسيوس، ذلك الصراع الذي كان يهدد حياة الكنيسة بشكل كبير. أنكر الأسقف آريوس الاسكندري العقيدة الكتابية عن إلهية السيد يسوع المسيح له المجد وعلم أن المخلص كان أكثر من إنسان وأقل من الله. انبرى الشماس أثناسيوس وكان من الإسكندرية أيضاً للدفاع عن شهادة كلمة الله بخصوص إلهية يسوع المسيح. وكان هذا المدافع عن العقيدة الصحيحة يظهر للجميع أن المس بتعليم الكتاب عن إلهية السيد المسيح إنما يؤدي إلى إنكار الخلاص العظيم الذي أتمه على الصليب. وبعد جلسات عديدة انتصر أنصار أثناسيوس على أنصار آريوس وقرر مجمع نيقية أن العقيدة الصحيحة المبنية على تعاليم الكتاب هي التي تعترف بإلهية المسيح بشكل يفصلها عن الجماعات التي رفضت الخضوع لتعاليم كلمة الله ولقانون الإيمان النيقاوي المبني عليها.

مجمع القسطنطينية المسكوني:

لم ينجح مجمع نيقية بإنهاء النزاع الآريوسي لأن صاحب هذه البدعة وبعض الأساقفة رفضوا تبني قانون الإيمان الذي صيغ في المجمع وثابروا على نشر آرائهم وتعاليمهم في أنحاء عديدة من العلم. ونظراً لتدخل الدولة في شؤون الكنيسة، ذلك الأمر الذي ابتدأ منذ أيام قسطنطين الكبير، كان بعض أباطرة الرومان يتحزبون لبدعة الآريوسيين ويضطهدون أعضاء الكنيسة وقادتها المؤمنين. وهكذا اضطر البطل أثناسيوس أن يدافع دفاعاً مستمراً في سبيل المحافظة على العقيدة القويمية المتعلقة بيسوع المسيح. وقد تألم كثيراً في جهاده الطويل ومات وهو ينادي بتعاليم كلمة الله عن يسوع المسيح ابن الله الذي جاء لفدائنا من الخطية والشيطان. وبعد وفاة أثناسيوس انتقلت قيادة الكنيسة إلى رجال ثلاثة عرفوا باسم "عظماء كبدوكية الثلاثة" وذلك لأنهم كانوا جميعاً من إقليم كبدوكية في بلاد آسيا الصغرى (تركيا الحالية).

كان هؤلاء الأبطال: باسيل من مدينة القيصرية، غريغوريوس من مدينة نازيانوس وغريغوريوس من مدينة نيسا. وقف عظماء كبدوكية الثلاثة وقفة واحدة للدفاع عن الإيمان القويم وعن تعاليم الكتب المقدسة. وقد عقد في أيامهم المجمع المسكوني الثاني وذلك في مدينة القسطنطينية في العام ٣٨١ أي بعد ٥٦ سنة من مجمع نيقية.

تكلم هذا المجمع بشكل خاص عن عقيدة الثالوث الأقدس، ووافق على جميع تعاليم وقرارات المجمع المسكوني الأول. وفي هذا المجمع صيغت عقيدة إلهية الروح

القدس التي تعلم في الكتاب المقدس، صيغت ضمن قانون الإيمان. وهكذا صارت الكنيسة المسيحية تتميز عن سائر البدع التي رفضت الإذعان لقرارات المجامع المسكونية وبشكل خاص بإيمانها بعقيدة الثالوث الأقدس التي هي عقيدة أساسية في الكنيسة المسيحية. وقد رفضت بدعة الأريوسيين بصورة تامة ونهائية وأخذت هذه البدعة تبدأ بالاضمحلال ولم تلبث أن تلاشت بصورة رسمية في تاريخ الكنيسة وإن لم تختف بصورة نهائية إذ أن البعض من الذين يدعون أنفسهم من أتباع السيد المسيح في هذه الأيام يدينون بمعتقدات أريوس ويجرفون كلمة الله لدعم آرائهم الباطلة غير آبهين بشهادة كلمة الله عن عقيدة الثالوث الأقدس ولا معترفين بقيادة الروح القدس للكنيسة في شتى العصور وخاصة أثناء انعقاد المجامع المسكونية التي كانت تعترف بسلطة يسوع التامة على الكنيسة وبالكتاب المقدس كالمرجع لوحي والنهائي لحل سائر المشاكل التي تعترض الكنيسة. وسنأتي على ذكر المجامع المسكونية الأخرى في درسنا المقبل إن شاء الله.

الكنيسة في التاريخ الدرس الخامس عشر المجامع المسكونية – ٢ –

مجمع خلقدونية ٤٥١ م

أعطى الله جميع ما يلزم الوصول إلى معرفته في أسفار الكتاب المقدس، الكتاب المقدس هو الذي تعتمد عليه الكنيسة المسيحية للوصول إلى معرفة جميع ما يلزم الإيمان به، لكن الكتاب يفهم بصورة سريعة إذ أنه كمنجم لكنوز لا تعد ولا تحصى ولذلك يتوجب على الكنيسة أن تستمر في دراستها لكلمة الله وأن تذهب إليها في جميع المحادثات والمناقشات. لأن المهم هو الوقوف على تعليم كلمة الله لا على آراء بني البشر.

وفي تاريخ الكنيسة القديم نشاهد صحة ما ذكرناه بصورة خاصة عندما ندرس إيمان الكنيسة بخصوص الرب يسوع المسيح. رأينا مثلاً أن الأسقف آريوس الاسكندري أنكر أزلية المسيح وعلم أنه مخلوق. انبرى للدفاع عن إلهية المسيح وأزليته الأسقف أثناسيوس (الذي كان في بادئ الأمر شماساً) ولما انعقد مجمع نيقية المسكوني كان الكتاب المقدس هو المرجع الأعلى والنهائي لحل قضية العقيدة الصحيحة عن المسيح يسوع. ذهب قادة الكنيسة إلى الكلمة الإلهية وهنا وجدوا بعد بحث ودرس عميق أن المسيح يسوع هو ابن الله العلي وأنه كان منذ الأزل. ألم يقل له المجد لليهود أثناء حياته على الأرض: قبل ابراهيم كان لأنا كائن؟.

مع أهمية مقررات مجمع نيقية المسكوني نلاحظ أن جميع الأمور التي يجب معرفتها عن يسوع لم تذكر مثلاً: العلاقة بين ناسوت المسيح ولاهوته. فقد حدث أن البعض من الذين بحثوا في هذا الموضوع حادوا عن الطريق المستقيم نظراً لإتباعهم طريق العقل غير المسير من قبل كلمة الله التي هي المرجع الأعلى والنهائي لكل القضايا والمسائل العقائدية في الكنيسة. الكتاب المقدس الذي يعلمنا عن أزلية ابن الله يتكلم أيضاً عن تجسده. وكذلك يعلمنا الكتاب أن المسيح يسوع تجسد بشكل حقيقي وواقعي وأن كل من ينكر أن المسيح جاء في الجسد هو من باع ضد المسيح. لكن ما هي العلاقة بين الطبيعتين البشرية والإلهية في أقنوم السيد المسيح؟ وبعد مرور سنوات عديدة عقد مجمع مسكوني هام في مدينة خلقدونية لمواجهة للقسطنطينية أي في القسم الآسيوي من البلاد وذلك في العام ٤٥١ م.

جاء نحو ٦٠٠ أسقف إلى هذا المجمع من مختلف أنحاء العالم وبحثوا في تعاليم الكتاب المتعلقة بطبيعتي المسيح يسوع. ومن مقررات هذا المجمع: الاستمرار في الطريق الذي أخطه مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية أي الاعتراف بالوهية السيد المسيح، الاعتراف أيضاً بناسوت المسيح التام. للمسيح إذن طبيعتين: إلهية وبشرية، لكن ذلك لا يعني أن المسيح هو أكثر من أقنوم واحد، بل أن الطبيعتين الإلهية والبشرية لم تكونا إلا مسيحاً واحداً وأقنوماً واحداً.

أسس المسيحية وضعت بشكل متين في تعاليم هذه الجوامع المسكونية. ومع أن ذلك لا يعني أنه لم يعد أي مجال للاجتهاد بعد هذه المجالس إلا أنه يتوجب على كل من يقول عن نفسه أنه عضو حي في الكنيسة السيد المسيح - تلك الكنيسة التي تضم

جميع المؤمنين منذ بدء العالم إلى نهايته – أن يقر بتعاليم مجامع نيقية والقسطنطينية وخلق دونية. فالعقيدة الصحيحة عن المسيح يسوع هي أساس كل شيء في المسيحية وكل ابتعاد عنها لا بد من أن يؤول إلى الابتعاد عن المسيحية الحقّة.

و في دراستنا لهذه الحقبة القديمة من تاريخ الكنيسة المسيحية لاحظنا الدور الهام الذي لعبه قادة الكنيسة ومفكروها. وسنأتي على ذكر مختصر لحياته لنرى بوضوح لا مجال فيه للشك أن الإيمان المسيحي متى استولى على عقول وألباب الناس يجعل منهم أبطالاً روحيين يتركون مآثر ضخمة ليس فقط للناس الذين كانوا يعاصرونه بل للكنيسة المسيحية في شتى عصور التاريخ المتعاقبة.

أمبروز يدافع عن الحق ويعمل على تشجيع الحياة المسيحية:

يعد الأسقف أمبروز من أهم قادة الكنيسة في القرون الأولى. ولد في مدينة ترير في القسم الغربي من بلاد ألمانيا وكان والده يعمل في الحكومة الرومانية ويتمتع بنفوذ كبير نظراً لمنصبه العالي. وعندما كان أمبروز في مقتبل عمره عينته السلطات الرومانية حاكماً على القسم الشمالي من بلباد إيطاليا وكلن مركزه في مدينة ميلانو حيث أصدر القرار الهام بطلاق الحرية للمسيحيين في أيام قسطنطين الكبير.

كان في أيام أمبروز العديدين من أتباع آريوس وحدث أنه لما توفي أسقف المدينة أن حاول كل من أتباع آريوس والمؤمنون بتعاليم الكتاب ومقررات الجمع المسكوني النيقوي أن ينتخبوا أسقفاً حسب ميلهم الديني. وحدث شغب أثناء

الاجتماع الذي كان سبب في قضية أسقف ميلانو الجديد مما دفع بحاكم المدينة أمبروز أن يأتي إلى بناية الكنيسة لإرجاع النظام والسلام. وحدث فجأة أن صرخ أحد الأولاد: أمبروز أسقف، أمبروز أسقف! ولم يكن أمبروز مسيحياً ولكنه مع ذلك انتخب أسقفاً. فقد رأى في تلك الحادثة وفي نتائجها أن الله كان يدعوه إلى دخول الكنيسة المسيحية وإلى ترك منصبه الحكومي العالي. باع أمبروز كل ما كان له وأعطى أمواله للفقراء واعتمد وسيم أسقفاً في السنة ٣٧٤ ميلادية.

كان أمبروز من المدافعين عن التعاليم التي صيغت في مجمع نيقية المسكوني وقد كتب العديد من الكتب الدينية وهو يعد من أساتذة أو معلمي الكنيسة المسيحية. وقد ساهم مساهمة كبيرة في إنشاء ترانيم مسيحية مبنية على حقائق الديانة الرئيسية وكان لا يخاف إنسان وهو يعمل على خدمة الكنيسة وسيدها. فقد حدث مرة أن أثار سكان مدينة سالونيك اليونانية على حاكمهم الروماني فانتقم الإمبراطور ثيودوسيوس منهم بقتل الآلاف من سكانها. لكن أمبروز لم يوافق مطلقاً على ذلك الانتقام الوحشي بل منع الإمبراطور من القدوم إلى مائدة العشاء الرباني وطلب منه أن يترف علناً بخطيئته الكبرى! ومع سطوة الإمبراطور وبطشه إلا أنه رضح لنظام الكنيسة ولطلب أمبروز واعترف علناً بخطيئته الكبيرة في إعدام الآلاف من الأبرياء في سالونيك. وهكذا أظهر أمبروز سمو الشريعة الأدبية وضرورة التقيد بها حتى من قبل الأباطرة والملوك! مات هذا القائد المسيحي في العام ٣٩٧ م. لكنه ترك وراءه مآثر عديدة كانت لخير الكنيسة ونجاحها.

الكنيسة في التاريخ الدرس السادس عشر مشاهير الكنيسة في القرون الأولى

- ١ -

وصلنا في دراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية إلى مطلع القرن الرابع الميلادي وقد لاحظنا كيفية انتصار الإيمان المسيحي على الوثنية ضمن الإمبراطورية الرومانية وعلى البدع والهرطقات التي هددت الكنيسة من الداخل. وأتينا أيضاً على ذكر بعض المجامع المسكونية التي انعقدت للبحث في الأمور الهامة التي تتعلق بحياة الكنيسة العقائدية. وأخيراً أُلحنا إلى حياة أحد مشاهير رجالات الكنيسة في تلك الأيام وهو الأسقف أمبروز الذي لعب دوراً هاماً في الكنيسة في البلاد الأوروبية. وستتناول في هذه الدروس التاريخية دراستنا لحياة ومآثر بعض رجالات الكنيسة لنقف على سيرة هؤلاء المشاهير ولنعمل على التقيد بأمثلتهم الصالحة التي تركوها لنا وكذلك لنقدر حق التقدير التراث الضخم الذي ورثناه من تلك العصور القديمة.

يوحنا فم الذهب:

ولد يوحنا فم الذهب في العام ٣٤٧ م. بمدينة أنطاكية السورية. كان والده من رجال الجيش الروماني العظماء ولكنه توفي أثناء طفولة ابنه يوحنا. أخذت والدته يوحنا المدعوة أنثوزا تعمل على تربية ابنها تربية مسيحية حقيقية. وهكذا عندما سمع بها الأستاذ الوثني الشهير ليبيانوس قال: آه ما أحسن النساء بين هؤلاء المسيحيين " وقد وهبت ابنها ثقافة رائعة وغرست في قلبه منذ نعومة أظفاره بذور التقوى

والصلاح. ونظراً لتأديبها لأبنها يوحنا ولتعاليم الكتابية التي لقتته إياها أصبحت مناعته قوية للغاية ولم يقع في حبال الوثنية المغربية.

درس يوحنا في مدرسة ليبانيوس الذي عده من أحسن تلاميذه. وعندما قيل لهذا المعلم الشهير قبيل موته من سيخلفك أجاب قائلاً: كان يوحنا سيخلفني لو لم يأخذه عني هؤلاء المسيحيين! وندا انتهى يوحنا من دراسته الرسمية صار من أساتذة أو علماء البلاغة ولكنه لم يلبث أن أصبح مهتماً بصورة تامة بالأمر الدينية وقرر دراسة العلوم اللاهوتية والتفرغ لنشر المسيحية والدفاع عنها.

ونظراً لكثرة الشرور والمعاصي في تلك الأيام في المحيط الوثني الذي خلفته الإمبراطورية الرومانية مال الكثيرون من المسيحيين إلى الابتعاد التام عن الحياة الاجتماعية وأخذوا يعيشون كنسك، والكتاب المقدس لا يتطلب التنسك أو الهرب من العالم بهذا الشكل ولا يحرم الزواج لمن وهبوا أنفسهم لخدمة المسيح والإنجيل ولكن كما يجري في كثير من الأحيان يذهب البعض إلى النقيض عندما يحاولون محاربة الخطايا والشرور. وهكذا فإننا عندما لا نؤيد مبدئياً نظام الرهبة والتنسك إلا أنه علينا أن نفهم الدافع القوي الذي حدى بالكثيرين إلى الهرب من الحياة الاجتماعية المتفسخة وتكريس حياتهم لعبادة الله ولخدمة بني البشر بواسطة نشر الإنجيل وتفسير الكتاب المقدس. وهكذا حدث أن أو شيء رغب يوحنا القيام به بعد تكريس حياته للإنجيل هو أن يدخل في سلك الرهبة ويعيش حياة التقشف والحرمان. لكن أمه منعتة عن القيام بذلك فاكتفى بمنصب قارئ في كنيسة أنطاكية. لكن ما أن توفيت والدته حتى ترك يوحنا الحياة في مدينة أنطاكية وذهب إلى صومعة في أحد الجبال

بالقرب من تلك المدينة وصار يعيش في صحبة مشاهير الرهبان. ونظراً لصعوبة الأحوال ولشدة تقشّف الراهب الشاب رجع بعد تأخر صحته إلى مدينة أنطاكية حيث سمي شماساً من قبل أسقف المدينة ثم صار شيخاً أو راعياً في الكنيسة بعد مرور مدة قصيرة. وقد ذاع صيته كواعظ شهير وصارت الكنيسة في كل مكان معجبة به وشغوفة ببلاغته في الدفاع عن الحق وفي تفسير الأسفار المقدسة. ولم يطلق عليه اسم يوحنا فم الذهب إلا في القرن السابع الميلادي ومع ذلك فإننا عندما نتكلم عنه وعن موقف معاصريه منه لا يسعنا إلا أن نشير إليه كفم الذهب!.

عمل فم الذهب في الكنيسة الأنطاكية مدة سبعة عشر عاماً وكانت الجموع تزد من كل مكان للإصغاء إلى عظاته الشهيرة. وكانت عاداته بخلاف الكثيرين من معاصريه ألا يكتفي بتفسير آية معينة من الكتاب بل أن يبدأ بتفسير فصول عديدة من كلمة الله وبصورة منتظمة. ولم يكن يخاف أي إنسان لأنه كان قد ملأ قلبه من مخافة الرب. ويعد فم الذهب من مشاهير علماء التفسير لأنه كان ينتمي إلى المدرسة الأنطاكية التي كانت تفسر كلمة الله حسب الطريقة المعروفة بالطريقة اللغوية – التاريخية أي أن معاني أجزاء الكتاب المقدس كانت تفسر حسب الأصول اللغوية للغات الأصلية التي كتبت بها أسفار الكلمة وكذلك حسب الأحوال التاريخية التي كانت سائدة أثناء كتابة تلك الأسفار. وهذه الطريقة كانت مغايرة لتعاليم المدرسة الإسكندرية التي كانت تتبع الطريقة المجازية تلك الطريقة التي كانت ترى وراء كل آية كتابية تعليماً مجازياً لا يقف عليه إلا القلائل من بني البشر!.

وحدث في سنة ٣٩٧ م. أن انتخب يوحنا فم الذهب بطريركاً لمدينة القسطنطينية بدون رغبته في الوصول إلى ذلك المنصب الديني العالي. وقد عمل بجد ونشاط لمدة ما وتكلت جهوده بالنجاح إلا أنه اصطدم في النهاية بالسلطات الحاكمة نظراً لوقوفه على مبادئ الكتاب ولعدم تعاويه عن الشرور والخطايا التي كانت ترتكب في البلاط الإمبراطوري الروماني. وقد اكتسب عداوة الإمبراطورة يود وكسيا التي لم تلبث أن تواطت مع بعض أعدائه فخُلع من منصبه ونفي إلى بلاد أرمينيا حيث توفي في السنة ٤٠٧ م وهو في عامه الستين.

من أهم مآثر هذا البطل الروحي أعماله في حقل التفسير الكتابي وبلاغته في المنبر وأتعا به الرعوية. ولم يوجد في تلك الأيام رجل يضاهيه في مقدرته على تفسير الكتاب المقدس وهو يُستشهد به إلى أيامنا هذه في الكتب التفسيرية. وهذا يرينا أن العلم والبلاغة والمهارة عندما توضع تحت تأثير تصرف الرب يسوع المسيح وروحه القدوس تصبح من أهم المواد التي يستعملها الرب لنمو الكنيسة في الإيمان والحياة. كان فم الذهب يتهيأ بصورة تامة للوعظ بدون أن يهمل الدرس أو الصلاة أو التأمل. وكثيراً ما كان هذا الواعظ البليغ يترك نص العظة المكتوب للكلام بحرارة ولجاجة تحت تأثير إلهام الظروف. وكانت آراءه مستقاة إما من الاختبارات المسيحية أو من ينبوع الكتاب المقدس الذي لا ينضب. وكان يطلب من الجميع أن كانوا من رجال الدين أو من العلمانيين أن يكبوا على دراسة الكتب المقدسة للنمو في حياة الإيمان القويم. ومع أنه كان يتقاضى أموالاً كثيرة نظراً لمنصبه العالي في القسطنطينية إلا أنه كان يهب جميع أمواله إلى الفقراء والمحتاجين والغرباء. ولذلك لا نتعجب إن

دعي من قبل المسيحيين في العصور المتعاقبة بفم الذهب وإن ذهب الكثيرون من
الوعاظ إلى التقيد بطرقه في الوعظ وتفسير كلمة الله الحية.

الكنيسة في التاريخ الدرس السابع عشر مشاهير الكنيسة في القرون الأولى

- ٢ -

في دراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية في القرون الأولى وصلنا إلى مطلع القرن الرابع الميلادي ورأينا من الضروري أن نتكلم عن حياة مشاهير رجال الكنيسة في تلك الأيام لنقف على أعمالهم وسيرتهم ولنقدر التراث العظيم الذي ورثناه عنهم. فالإيمان المسيحي هو إيمان تاريخي. بمعنى أنه ليس من استنباط الأمس بل أنه يعود في جذوره إلى التاريخ القديم وقد وضعت أساساته حتى في قرون ما قبل الميلاد. ولا يقدر الإنسان مهما عمل أن يفهم الحاضر بدون أن يفهم الماضي وهذا ينطبق بصورة خاصة على الإيمان المسيحي. طبعاً لأننا لا نكون بذلك واضعين حياة ومآثر مشاهير المسيحيين في القرون الأولى على مرتبة فائقة جداً ومترهة عن الخطأ. العصمة لله فقط ولكتابه المقدس. كل أمور الإيمان والحياة يجب أن تقاس حسب وحي الله الذي نجاهه بصورة كاملة في أسفار العهد القديم والعهد الجديد كلمة الله هي حياة لا تعرف السنين والقرون. أعمال الإنسان تندثر وتزول ولكن كلمة الله تبقى إلى الأبد.

جيروم:

سندرس اليوم بصورة مقتضبة سيرة رجل فذ من رجالات الكنيسة في القرنين الرابع والخامس من التاريخ الميلادي وهذا هو جيروم. ولد جيروم في بلاد دلماسيا في القسم المتاخم للبحر الأدرياتيكي من بلاد يوغسلافيا الحالية. وكان ذلك حوالي العام ٣٤٠ م. وقد ذهب إلى مدينة رومية كغيره من الناس في تلك الأيام وهناك أخذ يدرس العلوم الكلامية لدى أستاذ وثني شهير اسمه دوناتوس. وقد كان جيروم ابن عائلة مسيحية ثرية ولكنه لم يكن متديناً في أوائل حياته بل كان يجيا حياة تخالف الإيمان في مدينة رومية الكبيرة. ويحكى عنه أنه كان يقوم بزيارة السرايب في ضواحي رومية حيث كان الآلاف من المسيحيين قد قبروا أثناء الاضطهادات التي جرت في القرون الأولى. وقد أثرت عليه تلك الزيارات إذ أنه وقف بصورة محسوسة على عظم تضحية المؤمنين في سبيل معتقداتهم المسيحية.

وفي مطلع العقد الثالث من عمره اهتدى جيروم إلى الإيمان بعد اختبار روحي وعزم على ترك العالم والعلوم والآداب التي كان بارعاً فيها باقي أيام حياته لخدمة الله ولدراسة كلمته.

وكما رأينا في درس سابق كانت تلك الأيام شريرة للغاية وكان الكثيرون من المؤمنون من رجال ونساء يذهبون إلى الاعتقاد بأن أحسن طريقة للحياة هي حياة الرهبنة. ولم يختلف جيروم عن غيره من مشاهير تلك الأيام بل نراه ينخرط في سلك الرهبنة ويمضي سائر حياته في التقشف والعمل في سبيل الله.

ومن أهم أعماله التي قام بها جيروم هو ترجمة الكتاب المقدس من اللغات الأصلية: أي العبرية والآرامية واليونانية إلى اللغة اللاتينية. ولا يزال عمله من أعظم الترجمات التي حدثت في تاريخ الكنيسة وفي اللغة اللاتينية بالرغم من وجود أمور عديدة تتطلب التحسين والإصلاح في نص ترجمة جيروم؟ فمن المعلوم أن الرسل وقادة الكنيسة في العصور الأولى كانوا يستعملون اللغة اليونانية في أعمالهم التبشيرية وذلك لكون تلك اللغة منتشرة في سائر بلدان حوض المتوسط منذ أيام ما قبل المسيح. وجميع أسفار العهد الجديد كتبت باليونانية بينما أسفار العهد القديم هي بالعبرية والآرامية. ولكن أسفار العهد القديم كانت قد ترجمت إلى اليونانية في مدينة الإسكندرية من قبل سبعين عام وتسمى هذه الترجمة بالترجمة السبعينية. وهكذا كانت جميع أسفار الكتاب المقدس مفهومة من قبل المتقنين للغة اليونانية في أيام الكنيسة الأولى. ولكن المؤمنين في كثير من البلدان رغبوا في قراءة كلمة الله في لغاتهم الوطنية ولذلك ابتدأ العمل الذي لم ينته إلى أيامنا هذه وهو ترجمة كلمة الله إلى لغات العالم. فهناك ترجمات عديدة أقدم من ترجمة جيروم مثل ترجمة الكتاب إلى اللغة السريانية المعروفة بالترجمة البسيطة وكذلك إلى لغات الأقباط في مصر. وكانت هناك ترجمات في اللغة اللاتينية ولكنها هذه الخيرة لم تكن قد تمت بإتقان، وكانت العادة أن يُلجأ إلى الترجمة السبعينية للعهد القديم في جميع ترجمات الكتاب وإلى اللاتينية قبل أيام جيروم.

طلب أسقف رومية من جيروم العمل على تنقيح الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس وقد بدأ جيروم بعمله. أثناء إقامته الثانية في رومية وذلك في الأعوام

٣٨٢ إلى ٣٨٥ ميلادية. أخذ يترجم أولاً الأناجيل الأربعة ثم بقية أسفار العهد الجديد ثم سفر المزامير وبقية أسفار العهد القديم. وقد انتهى جيروم من ترجمته للكتاب المقدس في العام ٤٠٥ م. وذلك في مدينة بيت لحم بفلسطين.

وقبل أن ينتهي جيروم من عمله كانت الأقسام التي انتهى من ترجمتها تنتشر بسرعة من مكان إلى آخر في جميع البلاد التي كانت تستعمل اللاتينية، وبمرور الزمن حلت هذه الترجمة محل سائر الترجمات اللاتينية القديمة. وفي العصور الوسطى عندما كانت القارة الأوروبية في ما يسمى أيضاً بالعصور المظلمة وعندما ندر وجود من يعرف لغات الكتاب الأصلية كانت ترجمة جيروم للكتاب المقدس الواسطة الوحيدة للوقوف على محتويات الكلمة الإلهية.

ومن ميزات عمل جيروم هو أنه قام به حسب الأصول الصحيحة للترجمة أي الرجوع بصورة مباشرة إلى اللغات الأصلية. كانت سائر الترجمات اللاتينية قد بنيت على الترجمة السبعينية (اليونانية) للعهد القديم. لكن جيروم لم يرض بذلك وهو بذلك يختلف عن الكثيرين من أقرانه في تلك الأيام الذين كانوا ينظرون إلى الترجمة السبعينية كأنها غير قابلة للتحسين. وقد اضطر جيروم أن يدرس اللغة العبرية واللغة الآرامية في البلاد المقدسة ليقوم بعمله حسب مبادئه الصحيحة للترجمة. وكان أيضاً جيروم من أبرع عارفي اللغة اليونانية مما ساعده على تميم عمله المختص بالعهد الجديد بدون صعوبة كبيرة. ويمكن النظر إلى ترجمة فولجاتا لجيروم المدعوة بالعامية كعمل هام للغاية أثر في تاريخ الكنيسة في العصور المتعاقبة وأنه بذلك شجّع سائر المترجمين في العصور التالية وخاصة في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين على العمل بجد

ونشاط كمي يقدر كل إنسان أينما كان أن يقرأ كلمة الله في لغة آبائه وأجداده. ونهني كلماتنا عن جيروم وعن عمله العظيم بالقول أنه من واجب الكنيسة أن تعمل دائماً على الرجوع إلى لغات الكتاب الأصلية للوقوف على معاني تعاليم الوحي بصورة دقيقة وأن تجاهد بصورة دائمة في سبيل نشر الكتاب وهذا هو ما تقوم به الآن جمعيات الكتاب المقدس في أكثر أنحاء العالم. وفوق كل شيء على الكنيسة أن تبني إيمانها وحياتها على كلمة الله الدستور الوحيد للإيمان والحياة!

الكنيسة في التاريخ الدرس الثامن عشر مشاهير الكنيسة في العصور القديمة - ٣ -

أوغسطين:

من أشهر آباء الكنيسة في العصور القديمة هو أوغسطين. ولد في مدينة تهاست في بلاد أفريقيا الشمالية (تونس حالياً) في العام ٣٥٤ م. كان والد أوغسطين يتمتع بمنصب هام في تلك المنطقة من البلاد ولكنه لم يكن غنياً، وكان أيضاً وثنياً لو يعتنق المسيحية إلا في أواخر أيامه أما والدته أوغسطين فإنها كانت مسيحية تقيّة وقد اشتهرت في التاريخ لأيمانها وصبرها ولذلك تعد من أعظم أمهات العالم.

ظهر أوغسطين كولد ذكي وراغب في العلم ولذلك أعطته والده أحسن ثقافة رسمية ممكنة. لكن ذاك الولد الذكي لم يكن مجتهداً كما يجب بل كان يفضل إضاعة الوقت واللعب على الدراسة. وهكذا لم يتعلم اليونانية عندما سنحت له. الفرصة أثناء حياته الدراسية وقد أسف جداً هو لذلك لأنه أضاع فرص ذهبية كهذه في حياته. فقد كانت هناك كتب عديدة يود أن يقرأها وخاصة العهد الجديد الذي كتب في اللغة اليونانية. ولكن أوغسطين لم يتمكن من الاضطلاع عليها بسهولة نظراً لإتقانه اللاتينية فقط.

ولم بلغ أوغسطين سن السادسة عشرة من عمره أرسله والده للدراسة في مدينة قرطا جنة التي كانت أكبر مدينة في إفريقيا الشمالية. وكانت هناك مدارس

عديدة في تلك المدينة الكبيرة ولكن الشرور كانت كثيرة أيضاً وكذلك التجارب. ومع انكباب هذا الشباب على العلم يجد ونشاط إلا أنه سقط أيضاً في حبال الخطية والشرور.

كانت والدة أوغسطين تصلي بحرارة ولجاجة لكي يهتدي ابنها إلى ابنها إلى طريق الحق ويتعد عن حياة الشر والرذيلة. لكن ابنها لم يظهر أي استعداد لإطاعتها بل أكثر من آلامها بالرحيل إلى رومية. وكان أوغسطين قد وعد أمه بأن لا يتركها ويذهب إلى بلاد الغربية ولكنه حث بوعده ولم يبال لدموع أمه التي كانت تنهمر بغزارة وهي واقفة على رصيف الميناء وتشاهد فلذة كبدها يبحر إلى البلاد الإيطالية. وقد قاربت أم أوغسطين من اليأس في الكثير من الأحيان ولكن أحد الأصدقاء المسيحيين قال لها: أن ابن صلوات عديدة كهذه لن يهلك!.

بالرغم من حياة أوغسطين المنغمسة بالشر والخطية كان هذا الشاب الذي وجد نفسه حراً في إيطاليا يبحث بصورة مستمرة عن الحق. ابتداءً مرة بقراءة الكتاب المقدس ولكنه لم يلبث أن ألقاه جانباً. وكان يفضل في هذه الآونة من حياته كتب الفلاسفة القدماء وقصائد الشعراء الوثنيين. وفي هذا العصر الذي كان يعيش فيه أوغسطين انتشرت آراء ماني وهو رجل فارسي، وخلصتها عبارة عن مزيج غريب لعقائد وثنية وعقائد مسيحية. وقد اعتنق أوغسطين بدعة ماني لمدة تسع سنوات منتظراً الوصول إلى الحق في الفلسفة المانيخية. لكن حياة أوغسطين لا تزال غارقة في حمأة الرذيلة والشر.

وبعد مرور سنة واحدة على إقامة أوغسطين في رومية عينته الدولة كأستاذ لعلم البيان والبلاغة في مدينة ميلانو الواقعة في شمال إيطاليا. وفي هذه الآونة كانت أمبروز أسقف الكنيسة المسيحية في ميلانو، زكنا قد اضطلعنا على حياته في درس ماض. اشتهر أسقف ميلانو ببلاغته ولذلك أراد أوغسطين أن يستفيد من علم وبلاغة الأسقف وقد كان يذهب إلى الكنيسة مراراً للإصغاء إلى عظات أمبروز. وطبعاً لم يكن الأستاذ الشاب مهتماً في بادئ الأمر بتعاليم الأسقف بل انحصر اهتمامه ببلاغة الأسقف وبالطريقة التي كان يومئ بها أثناء إلقائه لعظاته الشهيرة.

جاءت والدة أوغسطين بصحبة أحد رفاقه الأعزاء إلى ميلانو وانضمت إلى بيت ابنها وهي تصلي وتنتظر حدوث الأعجوبة في حياة ابنها. وأخذت معالم التغيير تظهر على حياة الأستاذ أوغسطين إذ أنه ابتداءً يشك في صحة تعاليم الفلسفة المانيخية وأخذ يعطي اهتماماً أكبر لتعاليم أمبروز. وحدث ذات مرة أن ذهب أوغسطين إلى حديقة خلف بيته ويده نسخة من رسائل الرسول بولس. كانت نفسه في عراك كبير ولم يكن يستقر على مقعده في تلك الحديقة حتى ألقى بنفسه على العشب تحت شجرة تين. وبينما كان في تلك الحالة سمع أحد الأولاد في بيت مجاور ينشد أنشودة صغيرة: خذ واقراً، خذ واقراً، قام أوغسطين ورجع إلى المقعد حيث كان قد ترك رسائل بولس الرسول وأخذ يقرأ هذه الكلمات المستقاة من الفصل الثالث عشر من الرسالة إلى أهل رومية والعددتين الثالث عشر والرابع عشر: "لنسلك بلياقة كما في النهار، لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحسد، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للحسد لأجل الشهوات!"

وهكذا حدثت الأعجوبة المنتظرة وتغيرت حياة أوغسطين منذ تلك اللحظة إذ أنه سمع صوت الله وأطاع واهتمدى إلى المسيحية بصورة قلبية. وهكذا انقلب الأستاذ الشهير في مدينة ميلانو إلى تلميذ لأمبروز أسقف المدينة وأخذ يتعلم منه مبادئ المسيحية الحققة. وكان ذلك في أواخر صيف السنة ٣٨٦ م. أي في السنة الثانية والثلاثين من عمره. وفي يوم أحد القيامة المجيد من العام التالي اعتمد أوغسطين في الكنيسة وصار من أعضائها الغيورين.

لم يود أوغسطين المسيحي البقاء في منصبه كمعلم لعلم البلاغة بل رجع هو وأمه ورفيقه إلى بلاده في أفريقيا الشمالية. وبينما كانوا ينتظرون قدوم السفينة التي كانوا سيبحرون عليها توفيت والدته أوغسطين مما دفعه إلى تغيير خطته فبقي لمدة سنة واحدة في رومية ولكنه لم يلبث أن أبحر إلى موطنه وقصد مسقط رأسه حيث أصبح من ألمع قادة الكنيسة المسيحية في العصور القديمة. وسنأتي على ذكر بعض مآثر هذا القائد الشهير للكنيسة في درسنا المقبل إن شاء الله.

الكنيسة في التاريخ الدرس التاسع عشر مشاهير الكنيسة في العصور الأولى - ٣ -

سيرة أوغسطين بعد اهتدائه إلى المسيحية:

كنا قد اطلعنا في درسنا السابق على سيرة أوغسطين إلى أن اهتدى إلى المسيحية الكتابية ولم يتسع لنا المجال للكلام عن مآثره كقائد شهير للكنيسة المسيحية في العصور الأولى. ونظراً لكثرة أعماله ولخصب تفكيره يعد أوغسطين من أعظم أدمغة العالم القديم ومن الذين منحوا الكنيسة بمعونة الله تراثاً جباراً لا يمكن وصفه كما يجب في هذه الدقائق القليلة التي نتكلم بها عن الكنيسة في التاريخ وسنسعى الآن للكلام عن أعمال أوغسطين كقائد للكنيسة في بلاده أي في أفريقيا الشمالية.

تركن أوغسطين في درسنا السابق وهو في مدينة رومية وقد توفيت والدته التقية قبيل سفرهم إلى بلاد الوطن. وقد بقي أوغسطين مدة سنة في رومية ثم لم يلبث أن عاد إلى مسقط رأسه في مدينة تغازت حيث بقي مدة ثلاث سنوات بصحبة رفيقين له ممضياً أكثر أوقاته بالمطالعة والتأمل.

و في العام ٣٩١ م سمي أسقفاً وذلك بدون إرادته في مدينة بونه على شاطئ البحر المتوسط وبعد مرور أربع سنوات انتخب أسقفاً لتلك المدينة. وقد أقام في مدينة بونه مدة ثماني وثلاثين عاماً وجعل منها مركزاً هاماً للمسيحية وللعلم في العالم. وكانت حياة هذا الأسقف حياة بسيطة إذ أنه رفض التمتع بأطايب الحياة

وكرس كل أمواله لخدمة الله ولإعانة الفقراء. وأثناء تناول طعامه البسيط كان يطلب من الحاضرين أن لا يتكلموا عن شخص غائب لئلا يُنتقد إنسان في مدار الحديث ولا يعطى الفرصة للمدافعة عن نفسه. وكان أوغسطين يعظ على الأقل خمس مرات في الأسبوع وأحياناً مرتين في اليوم الواحد وقد وضع نصب عينيه أن يساعد الجميع أن يعيشوا للمسيح يسوع. وحيثما كان يذهب في تلك البلاد كان الناس يطلبون منه بإلحاح أن ينادي بكلمة الخلاص.

و مع أن أعمال أوغسطين كانت كثيرة للغاية في رعاية شؤون الكنيسة إلا أنه كان يرغب في التأمل والمطالعة أكثر من أي شخص آخر. وكان يهتم بالفقراء إلى درجة أنه لم يحجم أحياناً عن إذابة أواني الكنيسة الذهبية وبيعها لمساعدة المحتاجين. ولم ينحصر اهتمامه بأحوال الكنيسة في إفريقيا الشمالية بل أنه كان ملماً بشؤون الكنيسة في جميع أنحاء العالم وقد صار من المدافعين عن العقائد الصحيحة الكتابية ومن أشد أعداء أصحاب البدع والهرطقة في أيامه.

و قد كثرت متاعب حياة أوغسطين عندما تقدم في عمره وخاصة في سنيه الأخيرة. وكان البرابرة المسمون بالفندال قد وفدوا من أوروبا وغزوا بلاده وأخذوا ينهبون ويسلبون ويقتلون ويدمرون تاركين وراءهم مدناً مهتمة وبيوتاً خاوية. وحدث في العام ٤٣٠ م أن حاصر هؤلاء الغزاة مدينة بونه ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها بسهولة. وقد توفي أوغسطين في الشهر الثالث من الحصار في الثامن والعشرين من شهر آب - أغسطس وكان يتمتع بجميع قواه العقلية عندما ترك هذه الديار الفانية وذهب ليكون مع ربه ومخلصة يسوع المسيح. وكانت كلماته الأخيرة

مستقاة من سفر المزامير ومن أقوال الرب يسوع المسيح الواردة في الفصل السابع عشر من إنجيل يوحنا "أيها الآب: أريد أن أقول أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم!"

ولم تمض أيام كثيرة إلا وأن سقطت مدينة بونة في أيدي البرابرة الفاتحين الذين دمروها تدميراً. لكن أعمال الأسقف لم تندثر باندثار تلك المدينة لأنها حفظت وصارت ملكاً للكنيسة المسيحية في سائر العصور وفي شتى الأقاليم.

يمكن النظر إلى أوغسطين كرجل كان قد تغير تغييراً شاملاً بعد اعتدائه إلى المسيحية إذ أنه حسب مقدرته لم يترك أية ناحية من حياته إلا وأخضعها لتعاليم كلمة الله. ولم يكن مهتماً بالأمر التي يستفيد منها الإنسان لدى اعتدائه إلى نور الإنجيل بطريقة أنانية بل أنه أراد أن يكرس كل أيامه لخدمة الرب يسوع المسيح الذي افتداه من وهدة الشر والظلام. ولم تحظ الكنيسة المسيحية في تلك العصور بعقلية أخصب وأعمق من عقلية أوغسطين ونظراً لاستسلامه لتعاليم الوحي الإلهي في ولنبنده جميع التعاليم البشرية المغايرة لها، نراه قد ترك لنا ميراثاً عظيماً لا تقدر قيمته. ومن مبادئه الأساسية: الإيمان يسبق الفهم وبعبارة أخرى كل شيء آمن فتهم بينما كان الكثيرون من الفلاسفة في أيامه يعلمون أن الإنسان لا بد من أن يبدأ بفهم كل شيء قبل أن يؤمن به، أي أنهم كانوا يضعون العقل البشري على منصة عالية وينصبون حكماً حتى على الأمور الموحى بها من الله قي كتابه المقدس.

وكذلك قال هذا القائد الإفريقي الشهير للكنيسة المسيحية في كتابه:
الاعترافات: يا الله لقد خلقتنا لنفسك وأنفسنا لا تعرف الراحة أو السلام إلا
برجوعها إليك! أما موقفه من قسمي الكتاب المقدس فإنه قد لخص في قوله: يكمن
العهد الجديد في العهد القديم، وبعلمن أو يظهر العهد القديم في العهد الجديد. وقال
أيضاً أوغسطين: "الحرية الحقيقية في خدمة الله".

الكنيسة في التاريخ الدرس العشرون مشاهير الكنيسة في العصور الأولى - ٤ -

سيرة أوغسطين

تكلّمنا في درسنا الماضي عن حياة وبعض مآثر أوغسطين الإفريقي وهو من أشهر قادة الكنيسة المسيحية في القرون الأولى. وقد رأينا كيف أنه بعد اختبار مريّر في حياة الخطيئة وفي ظلام الوثنية والبدع التي نشأت حول المسيحية اهتدى إلى الإيمان القويم وصار من أشهر المدافعين عنه ومن مشاهير وعاظ بلاده في إفريقيا الشمالية. وقد ذكرنا أيضاً أهمية التراث الضخم الذي تركه للكنيسة المسيحية وذلك في كتبه العديدة التي بقيت كهبة عظيمة للعصور التالية بالرغم من غزو البرابرة الأوروبيين المعروفين باللندال لبلاده ولحرقهم ونهبهم لمدن شمالي إفريقيا. ومن أهم هذه الكتب: كتاب الاعترافات وهو عبارة عن تاريخ شخصي لحياة أوغسطين ولسيرته من أيام الظلان إلى أيام النور والسلام، ويعد هذا الكتاب من أشهر الكتب التي ظهرت في تاريخ البشرية، ومع أنه يبحث في أمور ذات صبغة شخصية إلا أن أوغسطين يتكلم أيضاً في اعترافاته عن مواضيع عديدة في علم اللاهوت والعقائد الدينية المتعلقة برحوع الإنسان إلى الله وبما قام به السيد المسيح من اجل إنقاذ الإنسان من برائن العبودية.

أما الكتاب الثاني الذي يعد من أهم ما تركه لنا أوغسطين فهو كتاب: مدينة الله وفيه يعطينا بصورة مطولة فلسفة للتاريخ من وجهة نظر الكتاب المقدس والإيمان المسيحي القويم. ومن أهم بواعث صدور كتاب مدينة الله هو أن الوثنيين وضعوا اللوم على المسيحيين والمسيحية بخصوص جميع المصائب التي أخذت تنهال على رومية وخاصة من جراء هجوم البرابرة من قوط وفندال وغيره. جاء كتاب أوغسطين هذا دفاعاً عن المسيحية وانتقاداً للوثنية إن كانت ذات صبغة بدائية أو حضارية. وقد جاء أوغسطين بوجهة النظر الآتية بخصوص تاريخ العالم:

إن الله ينشئ أثناء مسيرة التاريخ مدينته أو ملكوته على هذه الأرض، وهذه المدينة هي التي ستحتل بالنصر النهائي على سائر قوى الشر وهناك مدينة الأرض وهي ذات منشأ أرضي وهي تحت سلطة الشيطان ولا بد لها في النهاية من الانهيار والفناء. فالهمم إذاً أن نصبح من مواطني مدينة الله وهذا يتم بإيماننا بيسوع المسيح.

وترك لنا أوغسطين كتباً عديدة وخاصة في تفسير الأسفار المقدسة. وسنأتي للكلام عن عقيدة كتابية شرحها أوغسطين في كتاباته أكثر من أي لاهوتي آخر في أيامه، وهي عقيدة النعمة، وهي ذات أهمية كبرى في فهمنا لتطویر تاريخ العقائد في العصور المتتالية وجميع الكنائس الإنجيلية أو المصلحة إنما مدينة لأوغسطين بشكل تام نظراً لأمانته العظمى في تفسير وتطبيق تعاليم الكتاب بخصوص الإنسان الخاطيء وحاجته الماسة إلى معونة الله المجانية لكي ينجو من الشر والخطيئة والدمار. ومن الجدير بالذكر أن هذا القائد المسيحي الشهير لم يتكلم عن هذه الأمور من ناحية

نظري محضة بل أنه اختبرها في حياته ولذلك فإننا نجد ما تركه لنا من تراث في هذا الموضوع ذو أهمية كبرى.

جاء راهب بريطاني اسمه بيلاجيوس إلى رومية واخذ يعلم عقائد تتعلق بحالة الإنسان الحاضرة كانت تختلف تماماً عن تعاليم الإنجيل وسائر أسفار الكتاب المقدس! ولم تكن الكنيسة المسيحية قد بحثت في هذا الموضوع بشكل مفصل نظراً لكثرة المحادلات الدينية والمنازعات التي جرت بخصوص العقائد عن طبيعة الله والثالوث والسيد المسيح وطبيعته الإلهية والبشرية. وهكذا شاءت العناية الإلهية المهيمنة على حياة الكنيسة أن يتزل أوغسطين (ذو العقلية الجبارة) إلى حلبة الجدل والنقاش العقائدي ويأتي باختباره الروحية الكثيرة لتساعده في تفسير تعاليم الكتاب المقدس عن حالة الإنسان بعد سقوط آدم في الخطيئة ودخول الشر والموت إلى حياة البشرية.

أنكر بيلاجيوس البريطاني وجود علاقة مباشرة بين خطيئة آدم أي عصيان ادم على الله ووقوعه فغبي الخطيئة وسائر أفراد الجنس البشري وعلم أن الإنسان ينال رضى الله بواسطة جهوده الخاصة. ومع أنه لم يتعد نظرياً عن تعاليم الكنيسة المتعلقة بالمسيح يسوع إلا أنه كان يعمل بصورة قوية على هدم صرح المسيحية مظهراً بأن الإنسان لم يكن بحالة روحية سيئة إلى درجة تستوجب موت المخلص على الصليب. لم يذكر بيلاجيوس ذلك بصورة علنية ولكن تعاليمه كان لا بد لها من أن تؤدي إلى التقليل من أهمية موت المسيح وعمل الروح القدس في قلب الإنسان، ووجوب الولادة الثانية لكي يقدر الإنسان أن ينال سائر فوائد الفداء الذي كسبه لنا المسيح على الصليب.

كان جواب أوغسطين على تعاليم بيلاجيوس أن الإنسان يرث خطيئة آدم في حياته وان كل إنسان أخطأ في آدم. وهكذا فالإنسان في حالته الحاضرة غير قادر أن يقوم بجميع متطلبات الشريعة الإلهية وهو يبقى إذاً تحت غضب الله. ليس هناك من واسطة للخلاص إلا بالمسيح يسوع وبما قام به على الصليب مكفراً عن خطايا المؤمنين. ولكن الإنسان لا يود من تلقاء نفسه أن يؤمن، أنه أسير لإرادته المستعبدة للخطية والشر. فالإنسان هو إذاً بحاجة مطلقة إلى معونة الله، إلى معونة فوق طبيعية، وهذا ما نسميه بالنعمة، أي تلك الهبة المجانية التي يعطيها الله للناس ممكناً إياهم من القيام بما يطلبه منهم في الإنجيل. فبدون هذه النعمة الخلاصية لا يقدر أي إنسان أن يستفيد من الخلاص المقدم مجاناً في الإنجيل. وقد أثرت تعاليم أوغسطين هذه عن الإنسان في تاريخ الكنيسة في العصور المتتالية وكان لها أعظم اثر في بزوغ نور عصر الإصلاح الإنجيلي في مطلع القرن السادس عشر.

الخدمة العربية للكرافة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. للمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.
أسرة الخدمة العربية للكرافة بالإنجيل